عبد الحليم محمد قنبس

معضلات ومشكلات تواجه المرأة المسلمة المعاصرة

دار الألباب

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

بسم الله الرحمن الرحيم

معضلات ومشكلات
تواجه المرأة المسلمة المعاصرة

معضلات ومشكلات
تواجه المرأة المسلمة المعاصرة

تأليف

عبد الحليم محمد قنبس

دار الألباب

حقوق الطبع والتصوير
والإقتباس محفوظة

مكتبة دار الألباب

دمشق ، حلبوني - هاتف - ٢٣٩٨٢٠ ص.ب (٣٠٠١٩)

الاهداء

إلى كل امرأة مسلمة تريد العودة إلى تعاليم الاسلام وتطبيقها.

إلى كل مسلمة متمسكة بعقيدتها ومحافظة على كيانها وشرفها

أقدم هذا البحث

المؤلف

استفتاح واستهلال

قال الله تعالى:

« اليومَ أكملتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليْكُم نعمتي ورضيتُ لكم الاسلامَ دينا »

صدق الله العظيم   المائدة - ٣ -

« ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذهديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد »

صدق الله العظيم

« آل عمران: ٨-٩ »

تقدمة

اللهم إن الحمد والشكر لك لايستحقه أحد سواك، والصلاة والسلام على نبيك ورسولك وحبيبك محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الغر الميامين

وبعد:

انني أتقدم بهذا البحث إلى كل إمرأة مسلمة تقرُّ وتعترف بأن الله ربها ومحمداً رسولها، وتعلم أن كتاب الله هو النور المبين الذي يشع منه الخير للبشرية حتى يوم الدين وأن سنة رسول الله معجزة مستمرة تؤتي أكلها في كل حين.

محاولاً مابوسعي أن أسلط الاضواء على واقعها، وماتلاقيه من معضلات ومشكلات يومية تجعلها حائرة فيما تتصرف، مستنتجاً بعد ذلك مايجب على المرأة المسلمة المعاصرة التي عصفت بها رياح الفتن، وجعلتها بعيدة عن دينها وإسلامها، فقلبت ميزان عقليتها وبالتالي كيانها ثم مجتمعها، وذلك بالرجوع إلى منهج اسلامها، والتمسك بعقيدتها، حتى تبقى دائماً الأم المثالية والمدْرسة ذات المنهج السليم لتخريج الاجيال بناة المجتمع وقوة المستقبل.

فهذا ماقصدته في بحثي، فجعلته منحصراً بما يتعلق بالمرأة

المسلمة من واجبات وحقوق لتكون سالكة طريق الخير والفلاح ولتنال خيري الدنيا والآخرة.

فللمرأة المسلمة أقدّم هذا البحث

والله سبحانه وتعالى وراء القصد وهو ولي التوفيق

دمشق:

١٤/٦/١٤٠٦هـ

٢٣/٢/١٩٨٦م

المؤلف

عبد الحليم محمد قنبس

موضوعية البحث

قد يتساءل الكثيرون عن مدى المنفعة الناتجة عن الخوض في مثل هذه المواضيع الاجتماعية التي قد لاتشكل مشكلة كبرى كغيرها من المشكلات التي يعاني منها العالم العربي والاسلامي اليوم.

ويدلل البعض على عدم الخوض في مثل هذه المواضيع: أن المجتمع قد حدث فيه تغيير شامل للمفاهيم الاجتماعية أو لبعض منها، فلا يمكن له أن يعود إلى ماكان عليه من قرن خلا أو قرون مضت، فكيف تعود المرأة إلى ماكانت عليه في الماضي، وهي الآن في أوج حضارتها ومعطياتها؟ وقد يعللون ماجاء به الدين الاسلامي من نصوص بيانية للحياة البشرية، أنها ذات تطبيق فردي لاتنضوي ولايطبق عليها تطبيقاً شاملاً، وإن طبقت في الماضي وكانت لفترة معينة وكانت لها الحركة الفعلية في تطبيقها على مستوى المجتمع الاسلامي. إلا أن التجربة البشرية في واقع مجتمعنا اليوم أثبتت فشلها، حينما أسقطت ماجاء به الدين الاسلامي وتتبعت ماوضعته البشرية من قوانين وضعية تحتمل الخطأ والصواب.

-وأدلل على ما أقول: أن النص القرآني ليس نصاً بشرياً تطبق عليه أحكام الخطأ والصواب وليس قانوناً وضعياً تتجاذبه عقول المفكرين كيفما شاءت فيتم تفسيره على ماتقصده الأهواء والغايات، إنما هي نصوص من خالق البشرية جمعاء، ومبدع كل شيء، يعلم ماينفع خلقه ومايضرهم وهو أدرى وأعلم بمصالحهم.

فالنص الالهي لايمكن أن يأتي عليه يوم فيلغى بسبب عدم صلاحه أو فناء وإلغاء ما احتيج إليه فيه.

ولا يمكن أن يرضخ هذا النص لتفسير أصحاب الأهواء، وتعليله كما يريدون، فهو واضح الدلالة يعطي حكمًا واضحاً غير محتاج إلى إيضاح أو بيان من العقل البشري.

نعم هناك نصوص جاءت بصفة العموم والشمول لكن الأحاديث النبوية فصّلتها لكون هذه الأحاديث مسنودة إلى رسول الله صلى الله عليه وما هو إلا وحي يوحى، وحينما نطلق كلمة «تفسير» للنص القرآني إنما هذا الاطلاق هو تفسير لما لم نفهمه كبشر، ولا نريد أن ندخل في مضمار علم التفسير لأن له احتواءه في كتب كثيرة ومراجع جمة بيّنت مكانة هذا العلم ودوره في توضيح النص القرآني.

وهناك بعض المفكرين يتحدثون عن هذا الجانب « النص القرآني » أو « النص الالهي » من خلال ما رأوه بمنظارهم في التاريخ الاسلامي، من تطبيقات تفسيرية شوهت بعض النصوص القرآنية وذلك بإخضاعه لأهواء بعض أصحاب التطبيق على واقع الحياة العملية ولكن هذا لايعتبر اضعافاً للنص ولا يؤثر في معناه الحقيقي الذي يرمي إليه، بل هو بُعدٌ عنه، مثل ذلك التطبيق كمثل من تستر بستار يظن أن لايراه أحد ليفعل مايريده، إلا أن هذا التشويه قد يؤثر على الجانب الآخر جانب التطبيق البشري للنص، لكن هذا التأثير يصبح عرضياً ويزول معناه حينما يُفهم واقعُ النص ومراده ودلالته.

وحديثي هذا ضمن ما أرمي إليه في موضوعية بحث هذا الكتاب.

أما من حيث الأهمية: فكيف لاتكون المرأة ذات أهمية في الحياة البشرية وهي تمثل نصف المجتمع إن كانت صالحة، وكل المجتمع إن كانت فاسدة، وأقرب مثال أمامنا الصهيونية، كيف استطاعت أن تسيطر على العالم؟ وكيف أضحت ذات خطر محدق على المجتمعات البشرية؟

حدث ذلك حينما وجهت المرأة بمفاتنها ومغرياتها نحو المجتمع، وأطلق لها عنانها كي تحصل على ماتريده الصهيونية، فتجرعت المجتمعات الويلات تلو الويلات من الصهيونية.

ولو نظرنا نظرة تمعن وتفكّر في النص الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قاله منذ خمسة عشر قرناً لفهمنا دور المرأة وأهميتها في بناء المجتمع، فهو يقول عن أسلاف هؤلاء الصهاينة « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة في بني اسرائيل كانت في النساء»

وقد كان لها الدور في تغيير موازين الخير والشر، ليس التغيير الشامل لأن ذلك بيد الله سبحانه وتعالى بل كانت تأخذ دور الأسباب في تحقيق ذلك حتى على مستوى الأنبياء والمرسلين، فنستمع إلى قول الله تعالى في سورة التحريم آية: « ١٠ - ١١ - ١٢ »: « ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين. وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربِّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجّني من القوم الظالمين. ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين »

ولا بد من الاشارة إلى قوله تعالى: «فخانتاهما» فإن المقصود في الخيانة هو نقل الكلام إلى الناس وليست الخيانة الزوجية لأن الأنبياء معصمون عن زواج الزانية.

إنهما امرأتان أفسدتا الناس كي لايؤمنوا بما أنزل الله على سيدنا نوح وسيدنا لوط فكانت النتجة غضب الله على هؤلاء، وأما امرأة فرعون فكانت من المؤمنات اللواتي دافعن عن الحق خفية من فرعون، ولنستمع إلى ماحدث لموسى عليه السلام ودور المرأة في نجاته يقول الله

تعالى : « إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى . أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدوّلي وعدوّله وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني. إذ تمشي أختك فتقول هل أدلّكم على من يكفله فرجعناك إلى امك كي تقرّ عينها ولا تحزن . . » طه : ايه « ٣٨، ٣٩، ٤٠ »

ويذكرنا بذلك حينما بدأ الوحي بالنزول على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ونتذكر قول خديجة رضي الله تعالى عنها له : « الله يرعانا ياأبا القاسم، أبشر يابن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الامة، والله لايخزيك الله أبداً . . إنك تصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق » الاصابة: ٨/ ٢٠٠ وقد قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم :« . . والله ماأبدلني خيراًمنها: آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء ـ الاستيعاب لابن عبد البر.

فبناء صرح الحضارة الحديثة وحل المشكلات الكبرى والهامة في الحياة البشرية لها الارتباط الوثيق فيما تعانيه المرأة المعاصرة اليوم من تحلل وانزلاق في متاهات الضياع الاجتماعي المعاصر فكيف لاتجعل لها أهمية وهي اللبنة الأولى في بناء الاسرة؟!

وكيف لانلقي لها بالاً وهي التي تشجع الرضيع وتجبّنه، وتغذيه الخير إن شاءت والشر إن أرادت؟!!

فكيف نترك هذا الجانب الهام في حياة المجتمعات البشرية كلها؟

فدعوى أولئك مرفوضة وغير مقنعة لما نلاحظه في المجتمعات البشرية من انحطاط في الأخلاق والمثل والعادات والتقاليد.

فبناء الحضارة ليس بالقوة «التكنولوجية» وكفى، بل ولابد من وجود المجتمع السليم الذي يضم بين جنباته أفراداً يتصفون بالالفة والمحبة وروح التعاون، حينئذ يصبح الكيان الحضاري عامة ذا دعائم قوية يبقى مستمراً في شموخه وعطائه، لايأتيه الصدع ولا الانشقاق.

فالفكر العلمي الذي خطا خطوات سريعة في بناء صرح الحضارة لابد أن يواكبه الفكر الروحي فإن تخلّى أحدهما عن الآخر أو انفرد أو قوي، أصبح أي كيان يريد الاستمرار مهدداً بالتصدع والانهيار مهما قويت دعائمه وتلاصقت لِبَناته.

فكل من الفكرين مكمل للآخر.

وعملية الاشباع في كل منهما يجب أن تكون عادلة بينهما، فإن حدث أي تقصير في تغذية أحدهما اختل توازان الحياة البشرية.

إذن : لابد من وضع معالجة واضحة المعالم لما حدث ويحدث في المجتمع البشري من تدهور في العلاقات الاجتماعية جميعها، وهذه المعالجة تتعلق مباشرة بوضع المرأة وسلوكيتها في الحياة الاجتماعية المعاصرة.

وليس هناك علاج ودواء إلا الاسلام، والدليل على هذا الحصر مانلاحظه ولاحظناه من حلول وأفكار وطروحات لمعالجة مشكلات المرأة، لكنها باتت كلها بلا جدوى أو منفعة لأن التطبيق أولاً وآخراً هو أساس في العلاج والتطبيق لايأتي إلا عن طريق تغذية الروح والنفس عند المرأة وهذا لايوجد إلا في النص الالهي لأنه جمع مابين الحياة العملية والروحية في آن واحد.

وكذلك ماوجدناه تطبيقياً في العصور المتقدمة حيث كانت المرأة ذات سيادة اجتماعية وهي محافظة على كيانها وحيويتها المعطاءة فالذي أصلحها بالماضي يصلحها اليوم، والحجة التي يتفوه بها بعض المفكرين

أن وضع المرأة اختلف من حيث التغيير الطارىء على الحياة الاجتماعية غير مقبولة لأن النص القرآني لايتبدل ولا يتغير إنما الذي تغير وتبدل النفس البشرية وأهواء الناس الذين اتبعوا ما تمليه عليهم أهواؤهم فمعايير الصلاح والفساد لايطرأ عليها تبديل إنما يطرأ عليها الضعف والقوة.

وبعد هذه الملامح الموجزة عن موضوعية البحث أدعو الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الصواب ويجعلنا من أولي الألباب إنه هو الوهاب.

مدخل إلى آفاق البحث

قبل أن نبين المنهجية التي اتبعناها في هذا البحث، لابد من اعطاء فكرة موجزة عن الأسباب التي تدنت بها الحالة الاجتماعية والاسرية في المجتمع العربي المسلم في القرن العشرين، الى وضع سيء وخطير، وذلك من ناحية التربية للفتاة وحالة المرأة في المجتمع عامة، والأسري خاصة.

فمن هذه الأسباب ما تكلم عنها ابن خلدون في مقدمته حيث أنه يرى: إن الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها تعاني من عقدة تقليد القوي، واتّباعه بكل ما يفعله من حيث الفكر والرأي والسلوك ظناً منها صحة ما يقدمه، غير مهتمة بالنتائج أو متفحصة لما تقدِم عليه. ولا بد من القول: إن ابن خلدون رائد من رواد علم المجتمع، وبعد الاطلاعِ على هذا الرأيِ نذكر قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» وهذا ما حدث لمجتمعنا المسلم الذي يقلد من سبقه بالعلوم والمعارف تقليداً عشوائياً أوصله إلى متاهات الضياع التربوية، وهذا ما بينه ﷺ «حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» ففي الضرر وعدم النفع قلدناه واتبعناه.

ثم إن علم الاجتماع نحى منحى آخر جديداً فقام على أسس مادية بحتة، فجاء «كارل ماركس»، و«سيجموند فرويد»

و « دركـايم » فتحـرك في قلوب هؤلاء الحقـد على الشعوب لتدميرها عقـائدياً وأخلاقياً واجتماعياً، لأنهم يهود أشبعوا بأفكار « بروتوكولات حكماء صهيون » وهيئوا لخدماتها.

فبعـد أن عانى عالمنـا العربي والاسلامي الكثير من الاستعمار ووطأته، أصيب بهذه العقدة، عقدة التقليد الأعمى ، تقليد الضعيف للقـوي، حتى سلبت شخصيته المستقلة المتميزة، وهذا مانلمسه في واقع مجتمعنا عامة، نلمسه بأيدينا ونراه بأعيننا، فمما قدمه لنا الغرب سماً قاتلاً خلط بعسل مصفى ووضع على طبق من ذهب، هذا السم هو موضوع المرأة فأعطاها صوراً جميلة اعتبرها حلاً لمعضلاتها التي تحلها بهذه الصور البراقة، فخدعت بها وخدع معها الكثير من الرجالات، وإذا بالخلل المدمر للوضع الاجتماعي يظهر بيننا، حتى تناسى ونسي عالمنا العربي والاسلامي ماقدمت له عقيدته وشريعته الاسلامية من أسس سليمة تبنى عليها أسمى وأفضل أشكال الحياة المعاصرة، وهكذا أصبحت « مشكلة المرأة » الهاجس الأساسي لكل مفكر، وعلى المستوى الفكري عامة، فأخذت أقلام المفكرين تقـدم الحلول لها، وتضـع نظيرات جديدة هي بعيدة كل البعد عن واقع المرأة العربية المسلمة، وسنتابع هذا الحديث في بعض بحوث الكتاب إن شاء الله.

وأما ماقدمناه من بحوث في هذا الكتاب، فهي بحوث متعددة تناولنا فيها حالة المرأة المسلمة المعاصرة، وستتوالى البحوث تباعاً على النحو التالي:

١ ـ معضلة تحرير المرأة
٢ ـ معضلة خروج المرأة
٣ ـ معضلة اختلاط المرأة
٤ ـ معضلة لباس المرأة وزينتها

٥ ـ معضلة عمل المرأة
٦ ـ معضلة تعليم المرأة
٧ ـ معضلة نفسية المرأة
٨ ـ معضلة الجنس عند المرأة
٩ ـ معضلة الحب عند المرأة
١٠ ـ معضلةزواج المرأة
١١ ـ تعدد الزوجات
١٢ ـ معضلة طلاق المرأة
١٣ ـ معضلة تحديد النسل
١٤ ـ معضلة الخلل عند المرأة
١٥ ـ الكيان الاجتماعي المعاصر
١٦ ـ الأسرة ودورها في بناء المجتمع المسلم .
١٧ ـ رعاية المرأة المسلمة .
١٨ ـ مكانة المرأة في القرآن .
١٩ ـ كلمة أخيرة .

توطئة

لوحملنا التاريخ إلى ماضيه لكي يكشف لنا عن حالة المرأة قبل مبعث رسول الله ﷺ ، ونشر دعوته، لوجدناها مبتذلة عند كل المجتمعات البشرية، لاقيمة لها ولا كيان، سواء على المستوى الاجتماعي، أو العمل الوظيفي الذي خلقت له حيث أننا نلاحظ ماقدمه العلماء والفلاسفة القدماء من أفكار وضيعة للمرأة، فقد تجادلوا كثيراً حول كنه المرأة ماهي؟ ألها روح أم لا؟ وإذا كانت ذات روح، هل روحها انسانية أو حيوانية؟ . . .

عند الاثينيين أصحاب الحضارات والمدنيات، اعتبروها غير انسانة بل نوعاً من أنواع الحيوان، حتى أن الحيوان أطهر منها فلاقيمة لها أبداً، ولولا حاجة الذكر إليها لما أسكنها في بيته، لأنها رجس من عمل الشيطان.

هذه هي فكرة الأثينيين وقانونهم نحو المرأة أصحاب العلوم العقلية، والثقافات المتعددة.

أما حالتها عند الرومانيين، فهي لاتقل احتقاراً عن وضعها عند الاثينيين، فهي تباع وتشرى، ولاأهلية لها في أي تصرف وليس منها نفع إلا في خدمة البيت، واستيلاد الأطفال باستثناء بعض النسوة وذوات الشخصية المعروفة في بلاط الحكم حيث ارتقت درجة عن غيرها،

وذلك بجعلها زينة لمجالس الحكام، وأداة من أدوات الترف، فمما يروى أن « زنوبيا » ملكة تدمر، حينما تغلّب عليها الرومان، وخربوا مدينتها، أخذوها أسيرة، وقد لبست ثياباً شفافة ظهرت منها مفاتنها، ووضعوا السلاسل الذهبية قيوداً بيديها، وزينوها بأكاليل الزهور، حتى ظهرت على أجمل صورة يرضاها الملك، ومايضمه البلاط الملكي، وذلك كي تكون زينة لهم، ومتعة يتلذذون بها غير محافظين على كرامتها وحقها لكونها ملكة لمدينة دافعت عنها، ذات حضارة معروفة تاريخياً.

وقضت شرائع الهند القديمة، بأن المرأة وباء وموت وجحيم، فالنار خير منها، ولا تحق لها الحياة بعد وفاة زوجها، فعليها أن تدفن نفسها معه.

حتى التوراة وصفت المرأة بما يلي: سفر الجامعة، الاصحاح السابع فقرة ٢٥ ـ ٢٦ « درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون، فوجدت أمرّ من الموت المرأة التي هي شباك، وقلبها شراك ويداها قيود ».

والكنيسة الكاثوليكية عدت المرأة مخلوقاً في المرتبة الثانية.

وعند بعض طوائف اليهود: أنها بمرتبة الخدم، لاترث مع وجود اخوتها، ويحق لأبيها أن يبيعها وهي طفلة

هذا فضلاً عن احتقارها، وعدم المبالاة بها عند كل المتحضرين في تلك الفترة.

وأما في جاهلية العرب: فهي مظلومة، تعامل معاملة الرقيق، فهي متاع يورث بعد وفاة زوجها، هذا إذا حظت بالنجاة من الوأد. وقد بيّن القرآن الكريم حالتها قبل الاسلام، قال الله تعالى: « وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هُونٍ أم يدسّه في التراب ألا ساء مايحكمون »

النمل آية ٥٨ ـ ٥٩ ويصور لنا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حالة المرأة قبل مجيء الاسلام فيقول:

« كنا في الجاهلية لانعتد بالنساء، ولاندخلهن في شيء من أمورنا، بل كنا ونحن بمكة لايكلم أحدنا امرأته. إذا كانت له حاجة سفع برجليها، فقضى منها حاجته، فلما جاء الاسلام أنزلهن حيث أنزلهن وجعل لهن حقاً » كنز العمال جـ ١.

ولما جاء الاسلام، وأرسل الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً رحمة للعالمين، ومنقذاً للبشرية من الظلم والطغيان المبين، وأنزل عليه قرآناً فيه العدل والحياة للمجتمع البشري عامة، أخذت المرأة حقها، وأصبحت ذات مكانة تحسد عليها قال الله تعالى:

« . . . ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف. . » البقرة آية ٢٢٨.
ونالت ماسلب منها: فأنزل الله سبحانه: « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الروم آية: ٢١.

وقد ابتدأ الله سبحانه وتعالى أول سورة النساء بقوله: ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء. . » آية (١).

فهي من ذات النفس التي هي الرجل، وهي نظرية ثابتة لاتغيرها تطورات التاريخ، ويترتب على هذا المساواة الانسانية بينهما وبين الرجل، فضلاً عن حقوقها الفردية التي تحدث بها القرآن الكريم، وتكلم عنها رسول الله ﷺ فمن أقواله ﷺ ماقاله لقيس بن عاصم المنقري الذي قال: إنه وأد من بناته اثنتي عشرة في الجاهلية. فقال له: من لايرحم لايُرحم. وأمره أن يعتق بكل واحدة منهن جارية مؤمنة، وقال: « النساء شقائق الرجال ».

وقال الله تعالى: « فاستجاب لهم ربهم أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى » آل عمران ١٩٥.

فمهما حاول علماء المجتمع في عصرنا أن يقدموا حقوقاً للمرأة فهم لايستطيعون تحقيقها كما قدم الاسلام وحققها لها، حتى أن محاولاتهم لوضع منهجية تربوية لسلوكيتها باءت بالفشل في أكثر الأحيان، لأنهم وضعوها على ضوء العقلية البشرية التي تحمل الصواب والخطأ، وبذلك نرى المرأة المعاصرة فاقدة لأنوثتها، طالبة الاستقرار، باحثة عن حقيقة كيانها ووجودها وأقرب مثال لدينا هو المرأة الأمريكية التي وصلت إلى مستوى رفيع من العلم والمعرفة، فأصبحت برفسورة » وبلغت من السن عتيا، فسئلت عما حققته في هذه الحياة فأجابت: إنها تعيش في فراغ، وأن حياتها لاشيء، لأنها لم تحقق امنيتها التي تحلم بها كل انثى ألا وهي الزواج والاستقرار النفسي.

فلا يمكن تنظيم حياة المرأة وتحقيق رعايتها السليمة إلا بالرجوع إلى الاسلام، لأن تشريعه لم يأت عبثاً أو استنتاجاً أو تخميناً أو صدفة، إنما هو من خالق كل شيء يعلم ماخلق وهو بكل شيء عليم.

معضلة تحرير المرأة

قال الله تعالى: «ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل. ودّ كثير من أهل الكتاب لويردّونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسكم من بعد ماتبين لهم الحق..»

البقرة: «١٠٨، ١٠٩».

معضلة تحرير المرأة

لو نظرنا إلى مجتمعنا الاسلامي نظرة تاريخية، وخصصنا هذه النظرة بالمرأة، لوجدنا الفوارق كبيرة والأبعاد متزايدة بين ماضيها وحاضرها، ولابد من حصر هذه النظرة في زمن تاريخي معين، ونعتبر هذا التعيين من مطلع القرن العشرين الذي أحدث تغييراً هائلاً في ميادين الحياة على مستوى الفرد والجماعة، والكيان الاجتماعي عامة.

فقد كان المجتمع المسلم قبل هذه الآونة مجتمعاً محافظاً على تعاليم اسلامه، مطبقاً لما جاء به رسول الله ﷺ، بغض النظر عن الشواذ والشوارد التي كانت تعطي صورة سيئة، وتعكس على حالة المجتمع آثاراً غير مرضية، فالنظرة العامة والسديم المهيمن ينبيء عن مجتمع محافظ مطبق للأحكام الشرعية.

وحينما ظهرت معالم الحضارة والرقي في أوروبا مع قوتها وفرض سيطرتها، أعطت المرأة الحرية اللامحدودة، فأخرجتها من ثوب الطهارة وألبستها ثوب التحرر القاتل، وأصبحت عاملة في كل ميادين الحياة والعطاء، بلا قيد أوشرط، ولاحشمة في لباسها إنها حرة مطلقة، تعمل ماتشاء وتقول ماتشاء، وبذلك تحققت فتنة « داروين وفرويد » وأمثالهما، هذه الفتنة التى أريد بها خدمة الصهيونية، بإنشاء الضياع الاجتماعي بإظهار مفاتن المرأة، حتى يظهر الخلل سريعاً في الاسرة

والمجتمع، وتتفكك روابطها والتزاماتها، وقد تحقق ذلك، فمن أقوالهم: إن القوى الشريرة لاطريق لها إلا في تحرير المرأة . . .

ويعللون تحررها، لتستقل اقتصادياً، وتنال حقها في الحياة، من تعليم وعمل، ومن ثم لها الحق بالاستمتاع كيفما تشاء ومتى تشاء. ثم جاء غول التحرر إلى مجتمعنا المسلم، وبدأت بذوره بالحياة، فكانت تربته الاولى مصر التي تمثل المجتمع العربي المسلم دينياً وعلمياً فهي قلعة حصينة يعود إليها كل عربي مسلم.

ووجد لهذه البذرة من يزرعها، ويدافع عنها، فأولهم قاسم أمين، الذي نادى بتحرر المرأة وسفورها، تحررها من القيود على حد زعمه، واخراجها من الظلم إلى العدالة، ومن الظلمة إلى النور لمشاركة الرجل في حياته، واتبعته وسارت على دربه « سلمى الخماش » ونادت معها « ملك حفني ناصيف » وهدى شعراوي التي تفننت بفتنها، فطالبت باصلاح قوانين الزواج والطلاق، ومنع تعدد الزوجات وانتشرت الدعوة إلى تحرر المرأة، فرفعت شعارات النهضة، وفي أبعادها ومضامينها السم القاتل، فأمثال هؤلاء الدعاة قد فرغ ضميرهم من الدين، وفقد وجدانهم العقيدة والحياء، فشطحوا إلى أبعد من ذلك بالتهجم على الدين وقدسيته، ومما ساعد على نشر هذه السموم وسائل الاعلام على مختلف نشاطاتها، فصفق لها الضالون والجهلاء.

وراح التحرر يفتح أبواباً جديدة في الأقطار العربية الاسلامية: فتسللت سموم الفتنة إلى البيتوتات المسلمة، وأعميت الأبصار وفقدت نورها، لسيطرة سناء نار الفتنة المخادع، حتى اشبعت العقول باتباع الاهواء، واستنتج من ذلك أن لاتقدم ولامدينة إلا بتحرر المرأة، وخروجها إلى الحياة، تلبس كما تريد وتمشي مع من تريد. . . .

وسعد بذلك دعاة التحرر الحقيقيون، الذين يخدمون « بروتوكولات صهيون » ونال اعجابهم اولئك المنادين بتحرر المرأة

المسلمة، فقويت جذور البذرة، وخرجت أغصانها، وأينعت ثمارها، ثمار التفكك الكامل للأكثرية الساحقة من الاسر المسلمة، ولكن الموقف لم يخل من معارضين، فلم يستطع المعارضون ايقاف السيل العرم، لماهم فيه من ضعف مستحكم فضاعت نداءات العودة للدين مع صدى الأجواء.

ثم توالت الهتافات التي تدعو إلى الالتحاق بركب المرأة العربية المتحررة، وضربوا لها الأمثلة الواقعية، وكيفية ممارستها للحياة اليومية كل ذلك دعاية تخفي من روائعها تحقيق مايصبو إليه الصهاينة.

ومع كل هذا الجهد الكبير والعطاء المثمر، بقيت وتبقى المرأة المسلمة، محاطة بهالة معينة، من وجود العقيدة والمثل العليا مهما بعدت عنها، وشطت بها أهواؤها، لهذا لم تجار المرأة الغربية بكل أفعالها وأعمالها، ولو أن العقد الثامن من هذا القرن ظهرت فيه مؤشرات قوية، تنبيء عن انحطاط سريع في مُثُل المرأة المسلمة، وجهل مخيف في تعاليم الاسلام وأحكام شريعته وبالمقابل ففي العقد التاسع من هذا القرن، أخذت بعض الاسر تعود بخطا وئيدة إلى عقيدتها، بعد مراجعة ماكانت عليه من ضياع وتدهور خلقي واجتماعي، فظهرت أقلام اسلامية تنادي بالعودة إلى العقيدة، وعقول مستنيرة بلغت من العلم مابلغت، حاملة الأفكار السليمة، والآراء السديدة، التي تعطي ثمارها، بإقناع واقعي لمن ابتعد عن هذه العقيدة.وبعد هذه الاطلالة على حركة التحرر، فلا بد من بيان بعض الأسباب، ولو بايجاز، التي دعت لنشوء هذا التحرر، وجعلته ينتشر كالنار تأكل الهشيم.

فمن تلك الأسباب. تسلط الاستعمار على الدول الاسلامية، واضعاف قواها الاقتصادية والفكرية، وابعادها عن دينها وتشويه سمعة علمائها.

كذلك انخراط بعض الشخصيات العميلة لتشويه كل مايسمى

ديناً وما يمت إليه بصلة ، متمثلين أحياناً برجالات دينية ، فهذه الاسباب لها أهميتها وتأثيرها على المجتمع ، فحينها وجدت ، ضعفت العقيدة عند النفوس الضعيفة ، وأصحاب الأهواء المستورة ، وانفجر فسادها وفاح انتانها .

وهكذا نمت فكرة التحرر ، وتوغلت في المجتمع المسلم ، ونالت القسط الأوفر في الحياة الاجتماعية عامة .

معضلة خروج المرأة

مرت بأبي هريرة امرأة وريحها تعصف فقال لها أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: المسجد قال: وتطيبتِ؟ قالت: نعم قال: فارجعي فاغتسلي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لايقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد، وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل» رواه ابن خزيمة في صحيحه.

معضلة خروج المرأة

من المعضلات التي تواجهنا اليوم، معضلة خروج المرأة، التي تفشت في مجتمعنا الاسلامي، وقد أفردت هذا الباب لتداخل حالات الخروج، ولذلك عمدنا إلى جعله بحثاً مستقلاً مع علاقته الوطيدة بمعضلة العمل، ومعضلة الاختلاط، ولابد من بيان هذه الحالات، وتعداد ظواهرها مع بيان الاحتجاج من المرأة دفاعاً عن هذا الخروج.

فإذا خرجت المرأة المسلمة قاصدة العمل، وهي بحاجة إليه، وفي الحدود الشرعية، إضافة إلى ماتتسم به من أخلاق وتربية سليمة، فليس في هذا الخروج أي ضرر يعود عليها أو على المجتمع، ولاتحدث أي سلبيات تتأثر بها نفوس الناس. وإذا كان خروجها لقصد الزيارة، فللزيارة حدودها المشروعة كذلك، اضافة إلى أسبابها الموجبة لها كصلة الأرحام، وحقوق الوالدين.

وقد تخرج المرأة للشراء ومايتعلق بحاجيات البيت وهي مضطرة لذلك، فلا مانع شرعاً، أما خروجها غير اضطرار فهذا مما لايقره دينها.

وباختصار: إذا كان خروج المرأة من بيتها محفوفاً بالضوابط الشرعية، فلا نكران على خروجها أبداً.

ولكن الصور التي نراها في مجتمعنا، فهي صور خرجت عن طور الحدود المشروعة، إذ تخرج المرأة من بيتها لأدنى سبب ولأي حجة

تظهرها، انها اشتاقت إلى صديقتها فيجب أن تراها إنها تريد التجميل فلا بد من الخروج، إنها تريد الاطلاع على آخر. .ـ مديل ـ للألبسة النسائية، فحريٌ بها أن تخرج، وتتمش في الأسواق، تاركة وراءها من هم بحاجة إليها، لرعايتها وحنانها وعطفها، واهتمامها الدؤوب، هذا واقع الكثير من النساء المسلمات، أهذا خروج تحمد عقباه؟ حتى ولو كانت هذه المرأة من ذوات الشرف والأخلاق؟ لأن بنية مجتمعنا المعاصر فاسدة، فكيف تخرج؟

وهناك احتجاج من نساء محافظات على دينهن، وهذا الاحتجاج لبيان سبب خروجها قائلة: إن أموراً كثيرة يجهلها الزوج وتحتاجه المرأة فهي أولى منه بالخروج، فهذه الحجة قد تصدق أحياناً وتكذب في أكثر الأحيان. لأننا نعلم أن كثيراً من الأزواج يحبون قضاء أي حاجة تحتاجها زوجته كي لاتخرج إلى أسواق أفسدتها أحداث المدنية الزائفة.

ولانعني بهذا الحصر أن المرأة يجب عليها أن تعيش بقمقم لاتخرج منه أبداً، بل نعني أن يكون لخروجها مقصد يرضاه الشرع، ولايتأذى به المجتمع، والأذى يأتي مما تفعله في الأسواق من حديث وغير ذلك مما لاتحمد عقباه فكيف بها وقد خرجت من بيتها قاصدة تضييع الوقت والالتهاء في التسكع هنا وهناك؟

وبعد بيان حالات خروج المرأة نورد ماجاء في كتاب الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: «.. فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً، وقرن في بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ..» الأحزاب ٣٢ ـ ٣٣.

فما هو خضوع المرأة بالقول؟ انه الترقق في اللفظ، الذي يثير الطمع في القلوب، ويهيج الفتنة بها، إنها القلوب المريضة التي تثار، ومازالت هذه النوعية من القلوب موجودة في كل عهد وفي كل بيئة،

فكيف يكون هذا القول من امرأة في عصرنا المريض ، الذي ظهرت فيه الفتن وثارت الشهوات ؟؟

فان كان لابد من الكلام ، فليكن جدّياً ، لامزاح فيه ولا دعابة .

ثم تأتي الحالة التي تستقر بها المرأة في بيتها «وقرن» فلا تعني هذه الكلمة ما يفهمه بعض الناس ، أن المرأة يجب عليها البقاء في البيت ، مهما كانت ظروفها وأحوالها ، لا وإنما هي ايماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياة المرأة وهو المقر الحقيقي لها ، وغيره يعتبر استثنائياً ، كاضطرارها للخروج ، ثم العودة إليه .

فكيف بالمرأة اليوم ، تخرج لتتسكع هنا وهناك ؟ فهذا هو الخزي الذي دمر الفضيلة في مجتمعنا ، وكيف بالمرأة اليوم التي خرجت وقد أظهرت كل مفاتنها ؟ فذلك هو الفساد الذي يحوّل الانسان إلى حيوان لا يعرف الفضيلة والشرف فتبرجها اليوم سبق ذلك التبرج الجاهلي الذي نهى الله سبحانه وتعالى عنه .

فيا أيتها المسلمة : إن لم يكن للخروج حاجة ، فالبيت أولى بك كي يفوح فيه أريجك ، وتملئيه حناناً وعطفاً .

معضلة اختلاط المرأة

قال عليه الصلاة والسلام لزوجه سوده :
« قد أذنَ الله لَكُنَّ أنْ تخرجّنَ لحوائجكُنَ»

رواه البخاري في كتاب النكاح

تفشى الاختلاط في مجتمعنا تفشياً مخيفاً ، وفتح على مصراعيه. مما أدى إلى تغطية مساحة واسعة من بيتوتاتنا ، حتى أصبح فكرة ثابتة لاتقبل النقاش ، وأمراً واقعياً محتوماً لا يتغير ، مهما حاول المصلحون من اثبات الضد ، ومهما وضعوا من أساليب لتفهيم الناس مايؤدي هذا الاختلاط لعواقب وخيمة فزاد شموله للاسرة المسلمة باسم الحرية والتحضر والعلم ، وباسم حقية المرأة فيه ، حتى أصبحت غير راضية عنه بديلا ، فشاعت الفوضى ، وسيطر حب الشهوات لعموم هذا الداء في كل مكان ، واستمرار دائه في كل زمان فماذا نرى ونشاهد في مجتمعنا ؟

نستطيع تقسيم مجتمعنا إلى ثلاث طبقات .

الطبقة الأولى : وهي التي تضم المرأة التي خرجت على أتم وجه من وجوه الفتنة والاغراء ، وراحت تعمل في كل مكان تجده لها ، وتختلط مع من تشاء ، وتحدث من تشاء ، فتعطي البسمة لهذا ، والامتعاض لذاك ، واختلطت في المكتب ودور الملاهي ، وراحت تدس أنفها في كل الامور المفهومة لديها وغير المفهومة ، النافعة منها والضارة ولا يضرها أبداً بأن تحشر نفسها في أماكن الازدحام ، ولا تزعجها مشكلة النقل ، فهذا يلمسها وهذا يضايقها تعجب بنفسها

اذا وقفت داخل الحافلة كي تثبت للرجل أنها مثله ، فان تحرك شعورها بما تلاقيه من مضايقات فلا تنبىء عنه كي لا تقع ضحية للضعف ، هذا اذا كان شعورها مازال فيه نبض من الحياء .

هذه الطبقة من النساء أفسدت المجتمع حتى أصبح يئن من داء الفوضى ـ وقد يقال عن هذه المرأة ، انها متحررة ولكنها شريفة خلوقه ، والاجابة على هذا القول : لو اتصفت بما ذُكر فلابد أن تعيش في دوامة فكرية تأخذها وتعيدها ، فان أنبها ضميرها ، وتحرك وجدانها ، وقوي حياؤها، على ماتراه مخالفاً لطبعها عادت الى الحشمة والاتزان ، وإن أفل ماطبعت عليه ، فقدت انوثتها ، وتلاقت مع من وصفنا من النساء وقد أدت هذه الظاهرة إلى تشجيع الشباب للاقدام على مالا يستطيعون عليه من قبل . . .

فباسم التحضر تختلط الفتاة مع الشاب لتنور فكرها، ويستنير فكره، فتناقشه في امور قد تؤدي بها إلى الهاوية وباسم العلم والمعرفة ظهرت روايات لاتحصى ، وقصص لاتُعد، ملئت بالانحطاط الخلقي ، قصد منها بيان وضع فاسد وتنوير عقلية شباب المستقبل، وماذلك إلا مكروباً قاتلاً ، وسماً فتاكاً يتجرعه المجتمع المسلم عامة، فلا ولن يشفى منه إلا بالعودة إلى الأخلاق الفاضلة والمثل العليا .

فكم من مصائب بين الفتيات من جراء الاختلاط، وكم ازدحمت المحاكم بالنساء الطالبات للطلاق، من أجل عاشق مازال غراً بالحب، وما عدا الويلات المكتومة، والفضائح المستورة. . .

فماذا أعطى الاختلاط المفضوح لمجتمعنا؟ وماهي المنفعة التي قدمها للمرأة؟؟ . . .

وأما الطبقة الثانية والتي يطلق عليها « لامع هؤلاء ولا مع هؤلاء » فهي طبقة تعيش فيها المرأة في حيرة من أمرها فلا تمسك كاملا

في الخلق والدين، ولاميول تاماً للطبقة الأولى!! فإن الناظر إلى هذه المرأة التي اختلطت مع الرجال اختلاط عملٍ أو اختلاط شارع، أو اختلاط ترويح عن النفس كما يسمى يحار من تصرفها فهي لابالمتحررة ولا بالمحافظة، ضاعت بين زوبعة الفساد وصمود الصلاح، فتجدها في حديثها تنبيء به عن تحررها، مخالفة ماوسِمَتْ به، كي ترقى إلى الطبقة الأولى، ثم تجلس مع هذا في مكان ما وهي مظهرة العفة والشرف وفي أعماقها نار الضياع تتوقد، وفكرة السقوط تتعاظم. إنها ضائعة لاتدري ماتفعله، أتتبع طريق السلامة ولكن أهواءها تقف حاجزاً فتزين لها ألوان الاختلاط البراقة، ومايقدمه لها الاختلاط من ترويح عن النفس واضاعة للوقت، وتنفيس عما يختلج بداخلها؟؟

أم تتبع طريق الضلالة والسقوط فتقف بعض المثل التي مازالت في كيانها، فتنبهها وتوقظها وتبين لها مخاوف هذا الطريق وما ستلاقيه من مشاق؟؟

ومن الملاحظ على هذه الطبقة أنها تنقسم على نفسها إلى قسمين، فقسم ينضم إلى الطبقة الأولى فتزداد به عدداً وقسم ينضم إلى الطريق السوي الآمن فيزداد كذلك به عدداً.

وهذا مانراه في عدّاد المجتمع اليومي الذي لايتوقف عن مد الرذيلة والفضيلة

وأما الطبقة الثالثة: فهي تلك المرأة المحافظة على شرفها المتابعة لتعاليم دينها، فتراها كعصفور سجين، وكرئة منع عنها « الاكسجين » هكذا قال عنها المتحرر والمتحررات، وإننا نؤكد هذا التشبيه على صحته لأنها أصبحت في مجتمع ساده الفساد، وعمه الانحلال الخلقي، فهي غريبة عنه، سجينة مما يحدث فيه من فوضى، فاولئك المدعون ينظرون إليها نظرة ازدراء لماهي فيه، وهي تنظر إليهم بالمثل مع عزة في نفسها وكرامة لشخصها، لأنها تعلم معنى الفضيلة والخلق فتيقنت من سلامة

طريقها الذي اتبعته فلا وعر فيه ولا كدر، ملئ أماناً واطمئناناً حتى نهايته.

فترى المرأة المسلمة التي تمسكت بإيمانها وعقيدتها، تحاول دائماً أن توفق بين ماتمليه عليه شريعتها، وبين الحالة الاجتماعية التي تعيشها، فهي لاتتأثر أبداً بتلك الظواهر المغرية، والأشكال الملونة التي يراها الظمآن ماء وهي سراب.

ولاتتأثر كذلك بكل العواصف التي تثار وتستثار من حولها، لأنها ذات عقلية سليمة، نظمت حياتها من خلال اسلامها..

فاختلاطها لايتم إلا ضمن حدود الشريعة، فلاحديث فيه ذاك اللين والاغراء، ولافتنة في الافعال، ولافوضى في اللباس، ولانظرة ملئت خبثاً وفتنة لأنها تطبق قول الله سبحانه وتعالى: «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الا ماظهر منها..»[1]

وهي تؤدي عملها على أكمل وجه إن كانت عاملة خارج البيت، وهي مضطرة لذلك، وتقوم بواجباتها في بيتها تفعل كل ذلك وهي محافظة على كرامتها وشخصيتها، التي تجعل الآخرين يكنون لها كل احترام وتقدير.

وقد يقول قائل بعد كل ماذكرناه: إن الاختلاط أصبح عادة متبعة تعوّد عليها الرجال والنساء فلم يبق بينهم من تلك المفاسد إلا القليل. ونقول: إن الاكثار من الشيء يؤدي إلى الخلل أو السلب، فكثرة النظر إلى المرأة السافرة قد يعتاد عليها الرجل من حيث ما تظهره من مفاتن، ولكنه يبحث عن مفاتن اخرى بها، هذا إذا لم يكن ذا شبق وإلا فسيحدث مالا منه بدٌ، وعلى العكس من هذه الصورة إذا رأى الرجل ذو الأهواء المرأة المتسترة، فإنه يحاول أن يرى منها شيئاً اعتاد على رؤيته من تلك..

(١) النور آية «٣١»

وسوف نتابع مايتعلق بهذه الفكرة في معضلة الجنس عن المرأة إن شاء الله تعالى.

فيا أيتها المرأة المسلمة: إن دينك يأمرك أن تكوني مكرّمة محترمة في أي مكان تكونين فيه، في البيت والشارع في المدرسة والمعمل، في الحقل والمكتب، فأنت المرأة التي تمثل الفضيلة في عصر غمر مجتمعه الفساد والانحلال، فإن خفت من نفسك، فارجعيها إلى مخافة الله، كي تحافظي على كيانك وعرشك السامي. وتمسكك بدينك يجعلك أقوى بكثير من اللواتي يتأرجحن بين الضلالة والهدى، فطريقك واضح المعالم، لاحاجة للتعثر فيه أو الانحراف عنه فامض قُدُماً محفوفة بسلامة دينك وإيمانك...

معضلة لباس المرأة وزينتها

« عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« أربعة لُعِنوا في الدنيا والآخرة، وأمَّنت الملائكة ـ قالت آمين ـ: رجل جعله الله ذكراً فأنّث نفسه وتشبّه بالنساء، وامرأة جعلها الله أنثى فتذكّرت وتشبهت بالرجال. . » رواه الطبراني »

معضلة لباس المرأة وزينتها

لباس المرأة هو قنبلة عصرنا، الذي أدى إلى كل ماتحدثنا عنه من شيوع في الملذات، وفتك في الأخلاق وتقهقرها، وضياع شامل للشباب والفتيات، إنه لباس الفوضى، اللباس المسمى « بالأزياء » و« الموضة » و« التقليعة » إنه لباس بعد عن الحشمة والحياء، فأعاد المرأة إلى حضيرة المتعة كما في العهود التي كانت قبل الاسلام،

لماذا فقدنا الالتزام بالمثل العليا؟ ولماذا فرطنا وأفرطنا في مكانة المرأة حتى أصبحت مبتذلة مهانة؟! إنه زحف رهيب ومخيف انضوت فيه أخلاق المرأة ومبادؤها، وخلعت حياءها.

ولماذا لم يحدث هذا الانهيار من قبل فقد مضى على العهد النبوي قرون ولم يكن مانحن فيه من كشف لمفاتن المرأة، وخلاعة في قوامها؟؟..

يقع في مسامعنا قول الله سبحانه وتعالى: « لايغير الله مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم.. » الرعد -١١-

نعم: إنه التغيير الجذري الذي حدث في نفوس المسلمين عامة، ابتعاد عن العقيدة، اضمحلال في الايمان مواكبة للحياة الدنيا، ثم اتباع للشهوات، وميول لأهواء النفس، وركض مستمر لاشباع الغرائز ثم لهفة لاسعاد الجسد والنفس معاً، فحينما يظهر هذا التغيير يستسلم

الفرد لأي عارض عليه ظاناً أنه شفاء له وعلاج لماوقع فيه، وجاء الداء العضال، وارتفعت الاصوات لهذا العارض، وهي لاتدري كم كان السم سريعاً مع سرعة حروف كلماتها، فدخل السم إلى القلوب وجرى مع الدم، وسال دم الفضيلة رعافاً، وانهدم بيت المثل جزافاً، إنه اللباس الذي أصبحت التجارة فيه رابحة، والتعامل بصناعته رائجاً، ومراقبة فنونه مهنة.كل ذلك للمرأة كي تخرج كاشفة مفاتنها، يصرخ كل عضو منها لكل جائع ومهووس، ثم تضيع فضيلتها وتفقد حياءها وتصبح مبتذلة لاقيمة لها إلا للمتعة وقضاء الشهوة، وبذلك كله يتحقق المخطط المرسوم لأصحاب « بروتوكولات صهيون » إنه غزو غير مباشر يقتل الكيان الاجتماعي بعد قتل كيان المرأة، وجعلها أداة هدامة للاسرة حتى لاتقوم لها قائمة.

فبماذا نصف مجتمعنا الذي أصبح على أبشع صور الانحلال والانحراف؟ فإذا مشى أي رجل في أي شارع من شوارع مدننا الاسلامية يصطدم مع المفاتن التي ظهرت فلا يستطيع التوقف، لأنه سيرى أكثر مارأى، هذه تشبهت بالرجال، فلاتميز عنهم إلا بعد امعان في نهديها، وهذه خرجت تمشي كأنها عروس في ليلة زفافها، ولكنها مزفوفة في النهار لكل من يراها، معرض متحرك يراه المشاهد إذا أراد أن يمضي نهاره بالمعاصي والآثام، فتتحرك غريزية وتتوتر أعصابه ثم يمضي...

هذه صورة المرأة المسلمة في المجتمع المسلم اليوم، وهذه حالتها، ولولا الأمانة لقلنا:

إن المجتمع كله أصبح بهذه الصورة، ولكن الاستثناء لابد منه، استثناء ضائع في هذه الصورة، فإذا أردت رؤيته فلا بد من البحث عنه حتى ترى التي ظهرت بلباسها المحتشم، وزيها الذي ينبيء عنه تمسكها بدينها قلباً وقالباً، وسبب هذا التخصيص « قلباً وقالباً » راجع مايشاهد

في المجتمـع، فنرى المرأة المتسترة وقد بلغت من العمر عتياً ماشية في الأسواق ومعها ابنتها تمشي بجانبها وقد قلبت الصورة رأساً على عقب فبدلاً من لباس الحشمة، ابدلته بلباس الفتنة، فلم تترك زينة ولاخلاعة إلا أظهرتها وتفننت بها، وامها لم يظهر منها شيء وأحياناً ترى وجهها . .

هذا التناقض المخيف الذي دعانا إلى التخصيص فلو كانت الام محافظة على هذا اللباس ومتفهمة لما يدل عليه لما خرجت ابنتها بتلك الصورة المشوهة، ولكن لباس الام أصبح عادة وليس عبادة، لذلك لم تكن التربية للفتاة مبنية على الفهم الاسلامي، فكانت نشأتها منحرفة منذ الصغر إذ فُهم أن لباس الام هو تقليد قديم وعادة متبعة ستزول مع الأيام، وينجرف التقليد مع كل مايبلى ويذوب.

فويل لامثال هذه الام لأنها أفسدت بفسادها الداخلي نصف المجتمع، ظاهرها الرحمة وداخلها العذاب، فبهذا الفعل شوهت مايريده الاسلام، وأعطت صورة زائفة تغرر بها ضعاف الدين ويجعلها المنحرفون دليلاً لهم على ادعاآتهم.وقد تفسر المرأة قيامها بهذا العمل تفسيراً مناسباً لأهوائها فتقول: ان ابنتي إن لم تظهر بهذه الصورة فلا أحد يخطبها أو يتقدم إليها، فتعيش عانساً، بلا زواج . . . فهذا عذر أقبح من ذنب ستقف به أمام الله وتحاسب عليه لأن الفتاة المسلمة التي احتشمت بلباسها، وحافظت على كيانها وكرامتها، تميل إليها القلوب المؤمنة، وتبحث عنها العقول النيّرة التي غذيت بالايمان، تطبيقاً لقول النبي ﷺ « فاظفر بذات الدين تربت يداك ».

وهناك تناقض اخر نراه في مجتمعنا الاسلامي، فنرى المرأة المسلمة تعبد الله على شفى حفرة، متسترة في الشارع مظهرة مفاتنها في مكان عملها أمام الناس، فأعطت بفعلها مفهوماً خاطئاً عما يرمي إليه الاسلام، لأن الاسلام لا ولن يرضى عن أمثال هذه بحجة التمشي _ الزمن ومتابعة الأهواء، فالاسلام اتباع وتنسيق ومحافظة وطهر . .

وتناقض مماثل لماسبق، نساء كثيرات نراهن قد لبسن لباساً يجعل المرء في حيرة من أمره فيهن، فترى وجهها ومعه نصف شعرها، وأجزاء من مفاتنها، وتعتبر نفسها متمسكة بدينها!! وهذه ضلالة يخاف منها أكثر من تلك السافرة، لأن السافرة ظهرت للعيان تنبيء عما هي عليه، ولبست مايدل على أهوائها وبعدها عن دينها.

بهذه الصور مجتمعة ابتعدت المفاهيم الاسلامية عن واقع المرأة المسلمة، وأعطي بدلاً عنها مفاهيم مغايرة ومتناقضة جعلت الكثيرين ينفرون عن الدين والتدين لمايرونه من تناقض في الحياة الاجتماعية، ولكن الاسلام منها براء ومفاهيمه مازالت وستبقى دائماً هي المفاهيم التي لاتقبل الزيف والتغيير، فلم يأت يوم على ديننا الحنيف صورت مفاهيمه كما صورت به اليوم، فإن أمثال هذه المظاهر والصور الزائفة ستقضي على المجتمع الاسلامي كله، إن استمرت وبقيت بمسارها إلا إذا أخذت مفاهيم المسلمين تزيح عنها غشاوة الضلالة، وتبعد عن عقليتها غبار الزيف والانحراف.

وبعد هذا العرض لواقع المرأة المسلمة، لابد لنا أن نذكّرها بتعاليم إسلامها، وماجاء في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه المطهرة من علاجات شافية لماهي عليه.

منذ أن خلق الله آدم عليه السلام وخلق حواء خاطبه الله سبحانه وتعالى بقوله: « ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى » طه ـ ١١٨ ـ.

والعري هو إظهار العورة. لأن الغرض الأساسي من اللباس هو الستر والدفء، وليس بالعكس، فحينما أكلا من الشجرة بدت لهما سوآتهما، فماذا فعلا؟ « طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » طه ـ ١٢١ ـ

إنها فطرة الله فطرهما عليها، فطرة الستر والمحافظة على البدن، وقد كان سترهما كاملاً لا ناقصاً كما تزعمه التوراة: بأن الورق كان ورق

التوت، والدليل على هذا قول الله سبحانه وتعالى: « يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم. . » الأعراف - ٢٦ - فاللباس هو: مايتعدى تغطية العورة ونطاقها، وليس المقصود تغطية العورة فقط، بل الجسد كله حتى لاتكون هناك فتنة بين الطرفين.

ثم جاءت الآيات الكريمة مفصلة ومبينة لباس المرأة. قال الله تعالى: « ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين. . » الأحزاب - ٥٩ - فالآية عامة دخل في حكمها أزواج رسول الله وبناته ونساء المسلمين، وهذا دليل على ستر المرأة لبدنها كله، ولا يجوز أن يظهر منه شيء لأن قول الله تعالى. . ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين. . » دليل على حجابها الكامل حتى وجهها، لأن الوجه هو الذي تعرف به المرأة فإن ستر فُقِدت المعرفة. . .

وقال الله سبحانه وتعالى: « . . . ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخُمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن. . » النور - ٣١ - فلباس المرأة حدّده الاسلام ووضع له الضوابط السليمة التي جعلت من المرأة مخلوقاً محترماً له كيانه وكرامته، لامبتذلاً يصبح كثوب العارية من عين هذا إلى عين هذا.

وحينما أمر الاسلام بستر المرأة قصد بذلك أمن الفتنة، وحماية المجتمع عما تنتجه هذه الفتنة، ولكون المرأة فتنة يجب أن لايظهر منها شيء.

ولانريد أن ندخل في هذا البحث في التفاصيل الخلافية التي تعرض لها بعض علماء المسلمين المتأخرين حول عورة المرأة وحدودها، لأننا الآن بحاجة إلى كيفية إعادة المرأة المسلمة قدر المستطاع إلى دينها وبيتها الاسلامي، وافهامها ماهو الستر ولماذا،. . ثم نلقي الضوء بعد ذلك على مايأمرها به دينها كي تكون المرأة المسلمة المتكاملة. .

وأما المقصود من الزينة الاولى التي وردت في الآية الثانية، هو مايظهر من لباس المرأة الخارجي الذي ستر جميع بدنها. أماالزينة الثانية فهي ماتتزين به المرأة أمام زوجها وفي بيتها، وهذا رد على كل من يظن أويدعي أن الزينة التي وردت في أول الآية ماتظهره من جمال وغيره، فالآية واضحة كل الوضوح بتفصيلها للزينة، ولاحاجة إلى بيان معانيها...

وقد اعتبرنا الزينة معضلة تواجهها المرأة المسلمة، لارتباطها المباشر مع اللباس، فخروج المرأة سافرة يعني خروجها متزينة حتماً، واعتبرنا هذه الحقيقة من خلال مايشاهد من المرأة السافرة، فلانرى من السافرات إلا القليلات اللاتي أهملن أنفسهن، وربما يكون هذا الاهمال عائداً لأمر منعهن عن الزينة..

إذن: ماتبتلى به المرأة من اظهار مفاتنها تبتلى باظهار زينتها، التي يجب أن تكون محفوظة لزوجها، وكم يعاني الرجال من نسائهم اللاتي يخرجن متزينات، إنهم يعانون من وجودها في البيت وقد أهملت نفسها فأصبحت كشيبة يخاف من منظرها، ولما تُدعى للخروج تراها عروساً ذاهبة للقاء الأحبة والأصدقاء، فأحمر الشفاه و« الماكياج، واللباس الفاضح، والرائحة الطيبة، كل هذا يظهر بخروجها ويفقد بعودتها إلى البيت.

فهذه المرأة التي قال فيها رسول الله ﷺ: « أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية » فكيف بها وهي متقنة لعطرها ولباسها وقد أصبحت دعاية بوضع العطر عليها في الأساليب الاعلانية لتمر على الشباب فيشمون رائحتها كي تتحرك غرائزهم وتميل إليها قلوبهم؟..

ولابد من الاشارة إلى ماقصده رسول الله ﷺ في الحديث السابق، وهو تلك المرأة المسلمة التي مازالت محافظة على لباسها

الشرعي ولكنها استعطرت، فكيف يكون الحكم على المرأة السافرة المتزينة المستعطرة؟!

وقد تحدث رسول الله ﷺ في حديث آخر عن تلك المرأة المتسترة التي اتبعت دينها وقد خرجت من بيتها قاصدة المسجد للصلاة، لا للعرض في الأسواق، ولالتضييع وقتها هنا وهناك، إنها خارجة للعبادة في بيت الله ولكنها تطيبتَ فقال: «أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لاتقبل لها صلاة حتى تغتسل» وهناك لعنات تنصب على المرأة من الله، لعنات تلاحقها لأنها غيرت من خلق الله، كتجميل حواجبها، وهذه عادة اتبعتها الكثيرات من النساء المسلمات، وكذلك التي وصلت شعرها فيقول رسول الله ﷺ في ذلك «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله» فالتحريم لهذه الأفعال سببه تغيير خلق الله، حتى لو كان هذا الفعل في بيتها لم يره أحد من الناس.

أما الوصل الذي يسمى بزماننا «الباروكة»، فقد ذهب أكثر العلماء على تحريمه قطعاً وبدون تفصيل لكيفية الوصل وهناك آراء تقول: إذا كان الشعر مصنوعاً من شيء طاهر وليس فيه من شعر الآدمي، وكان شعر المرأة خفيفاً أو مفقوداً فلا مانع من ذلك في بيتها، ومنهم من اشترط رضاء زوجها إذا لم تكن عاهة في شعرها.

كل ذلك كي لايقع اللعن على المرأة الذي قال عنه رسول الله ﷺ : «لعن الله الواصلة والمستوصلة..» وقبل حلول نهاية البحث لابد لنا من ايضاح نقطة هامة مادام الحديث مستمراً عن لباس المرأة وزينتها وهي: إن كثيراً من الأزواج تكون لهم حالتان: إما حالة عدم اللامبالاة بزوجاتهم، وهذه اللامبالاة تفقد منهم الغيرة على نسائهم، وإما الاهتمام بزوجاتهم، فتراهم يمتعضون ظاهراً أو باطناً مما

تفعله نساؤهم وهذه الحالة يرجى منها الخير، فقد تؤدي إلى الرجوع للمثل والأخلاق، وماتطلبه تعاليم الاسلام.

فيا أيتها المرأة المسلمة: اسلامك ودينك وضع لك الحلول التي تحفظك من تيارات الضياع، وتكسبك عفة وكرامة وشرف، فلماذا هذا الانحطاط، ولماذا التدني إلى بؤرة الضلالة، والهروب من تعاليم نبيك ﷺ الذي قال عنه رب العزة: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»؟؟

نعم: انه رحمة لكل الناس ولك، رحمك باخراجك من العبودية والذل إلى الحرية المعطاءة والبناءة، إلى النور الذي أضاء لك معالم كيانك كي تبقين دائماً القاعدة الصلبة لبناء المجتمع الاسلامي...

معضلة عمل المرأة

قال الله تعـالى: « وقـل اعملوا فسـيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » التوبة «١٠٥».

مُعْضِلَةُ عمل المرأة

وأسفاه على ماحدث من تشنيع لكلمة « عمل » هذه الكلمة إن تُممت فائدتها بكلمة « صالح » عاش الانسان ذكر أو انثى حياة رغيدة ملؤها الهناء والاستقرار، وان تممت بكلمة « سيء » فقد التوازن المعيشي، وظهر الخلل الطبقي بين أفراد المجتمع.

فالعمل بعمومياته كلها ومايحمله من معنى الصلاح قد رفعه الاسلام، وجعله محور اهتمامه في الحياة الانسانية كلها. فلو تتبعنا الآيات الحكيمة الواردة فيها كلمة « عمل » لوجدناها كثيرة، سواء كان العمل على المستوى المعيشي للحياة الدنيا أو للحياة الآخرة.

والعمل ضمن طريقين متنافرين أحدهما طريق سليم يؤدي إلى السلام والأمان، وطريق معوج يؤدي إلى المرض والسقوط في الهاوية.

وقبل أن نلج في واقع عمل المرأة المعاصرة، لابد من طرح الفكرة التالية، التي بني عليها كل مايحدث نتيجة لعمل المرأة حتى أصبحت حجة الطريقين المتنافرين، وهذه الفكرة أخذت من كتاب الله سبحانه وتعالى ومن آية وردت في سورة النساء: « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » - ٣٢ - فالآية تدل دلالة واضحة على حق المرأة بالعمل لأن فعل « اكتسب » يعني أخذ مال أو منفعة من عمل تم فعله والقيام به، وهذاالحق الذي أعطاه الله للمرأة لم تتوصل إليه

الحضـارات الحديثة المتقدمة والزاعمة بتحرر المرأة، إلا بعد الثورات النسائية والاجتماعية المتعددة لهن حتى نلن هذا الحق، بينما الاسلام وضع حقها في العمل دون لجوئها إلى ذلك كله.

فالمرأة المسلمة لها الحق في البيع والشراء وإبرام العقود والتوكيل فيما تملك، وليس للزوج أي حق فيما تملك مطلقاً، فقد ورد قول الله سبحـانـه وتعـالى في مهـرهـا « ولايحـل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً . . » فلا يحق للزوج أخذ المهر الذي دفعه لها، فهي تتصرف به كما شاءت إذ أصبح ملكاً لها، وكذلك لايجوز للزوج أن يتصرف بمالها إلا بإذنها أو بوكالة منها، وتستطيع إلغاء ذلك متى شاءت.

ولـو نظرنا إلى القوانين الغربية في هذا الحق، لوجدناها تشرك الزوج فيما تملك المرأة، واستمر العمل بهذه القوانين إلى وقت قريب. فالقـانون الفرنسي كان ينص على أن « المرأة المتزوجة ـ حتى ولو كان زوجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكيته ـ لايجوز لها أن تهب، ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تمتلك بعوض أو بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد، أو موافقته عليه موافقة كتابية » . ؟!!

إذن: فالاسـلام سمح للمرأة بالعمل والاكتساب، كما سمح للرجـل في ذلـك، ولكن هذا العمـل كان ضمن حدود طبيعة المرأة وامكانياتها الجسدية والعقلية، وضمن نظام مرسوم لكي لاتتخلى عن الاسرة، وتبتعـد عن تربية أولادها، ثم لتحافظ على انوثتها وكرامتها ودينها، سواء كانت عزبة أم متزوجة، ولنا أمثلة كثيرة من واقع المجتمع المسلم في عهـد النبـوة والخلفاء الراشدين ومن بعدهم بأزمان مرت، فكانت المرأة تزاول التدريس للاناث، والطب والتجارة للاكتساب، حتى أنها استلمت مناصب في الدولة كما حدث في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فضلاً عن ممارستها الشعر والأدب . .

فمن أراد التثبت من هذا فليرجع إلى تراجم النساء المسلمات في كتب التاريخ والأدب، ومع كل هذا العطاء لم يصل إلينا أن المرأة المسلمة عاشت بمشاكل اجتماعية، وتفاقمت الخلافات بينها وبين الرجل لتنال حقها، ولم تشغل المحاكم بها، والمفكرين والباحثين في حياتها.

وإذا عدنا إلى واقعنا الاجتماعي اليوم، وإلى الاسرة المسلمة، وماحل بها حينما خرجت المرأة للعمل وهي الركيزة الثانية بعد الرجل في البيت، وفرد مهم في بناء الاسرة، فسوف تطرح أمامنا تساؤلات كثيرة، فمن هذه التساؤلات على سبيل المثال لا الحصر:هل المرأة مجبرة على العمل؟ متى؟ ولماذا؟

وهل يؤدي هذا العمل إلى اضرار في بناء الاسرة؟ ولماذا؟

وهل سلبيات العمل للمرأة وجدت لها حلول فأصبحت من الايجابيات؟

وهل تستطيع المرأة أن تقوم بأي عمل يسند إليها؟

إن باب العمل فتح أمام المرأة على مصراعيه، وهذا لايليق بالمجتمع المسلم أن تكون لديه هذه المجاوزة لماذا؟

لأن الإسلام حينما أعطاها حرية العمل، طلب منها بالمقابل ثوابت العمل، وهذه الثوابت تغيرت مع مرور الأيام والتغيير لم يحدث من الثوابت بل خارج نطاقها، فمن الثوابت أن لاتخرج إلى عملها مختلطة بالرجال ولا مظهره لزينتها ويجب أن تكون محافظة على زيها الاسلامي الذي أمرها الله به.

ثم بعدت هذه الثوابت عن واقع المرأة المسلمة، وقد فتح أمامها باب العمل باسم التحرر فانطلقت تعمل غير محتشمة ولا متأدبة فاختلطت بالرجال في المعمل مع العمال، في المكتب مع الموظفين، في جميع مرافيء الحياة الاقتصادية والفكرية . . .

فلماذا هذا الانطلاق؟ لالشيء إلا لتثبيت مقدرتها أمام الرجل وأنها مثله تعمل كما يعمل وتتحدث مع من تريد وتختلط كما شاءت، هذا هو فكر أكثر العاملات في مجتمعنا المسلم ـ ولو أن هناك بعض الاستثناءات ـ حتى المرأة المحافظة أخذت تقتنع بهذه الفكرة، لذلك وجد في مجتمعنا رجال غيورون على نسائهم منعوهن من العمل خارج البيت حتى أنهم يضعون عدم العمل شرطاً في عقد النكاح، فنسمع الحديث عن هؤلاء الرجال بأنهم «معقدون» لايتماشون مع ماتعارف عليه المجتمع، ولايسيرون كما يسير الركب نحو العمل وجلب المال، ونضم صوتنا مع هؤلاء الغيورين الذين لم يرضوا أن تخرج نساؤهم للعمل لأن مجتمعاً مثل مجتمعنا قد ملىء فساداً وفقدت المرأة فيه كرامتها، فحري أن يمنعها وحري به أن يعيلها وينفق عليها، فهو الرجل المكافح الساعي في دروب الحياة لجلب ماقدره الله له من رزق، فأمثال هؤلاء قد طبّقوا مافعله النبي ﷺ حينما جاءه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وفاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها جاءا مشتكيان إليه مايلقيان من عناء العمل فجعل العمل بينهما قسمة فاطمة لعمل البيت وعلي لعمل الخارج. وغيرة هؤلاء كغيرة الزبير بن العوام على زوجته عاتكة، وعاتكة لم تكن عاملة أو موظفة ظهرت مفاتنها، بل كانت تعمل في بيتها طائعة لربها، مواظبة على الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ فقال لها: «ياعاتكة لاتخرجي إلى المسجد!! علماً أن عاتكة هذه كانت مُسِنّة فقالت: «ياابن العوام أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت فيه مع رسول الله وأبي بكر وعمر؟! فقال: لاأمنعك..

وجاء الصبح فخرج الزبير إلى الصلاة، وقام لها في سقيفة بني ساعدة وارتقبها... فلما مرت به ضرب بيده على عجيزتها، فقالت: مالك؟! قطع الله يدك. ثم رجعت.

وصلى الزبير في المسجد وعاد الى البيت فقال لها: ياعاتكة مالي لم أرك في مصلاك؟ فقالت: يرحمك الله يأبى عبد الله فسد الناس بعدك، الصلاة اليوم في القيطون أفضل منها في البيت وفي البيت أفضل منها في الحجرة ـ القيطون المخدع ـ فغيرة الزبير دفعته إلى ذلك، وهو يعيش مجتمع مسلم طبق فيه الاسلام تطبيقاً عملياً، علماً أن نساء المسلمين كنَّ يصلين في المسجد.

ويعتبر هذا الحَـدَث ـ ولو كان فردياً ـ عمومية شاملة سيطرت على كل قطاعات المجتَمع، وذلك من حيث طاعة الزوجة لزوجها، فكيف بالمرأة تترك بيتها للعمل وتحصيل المادة؟!

إذن! لننـظر إلى واقـع عمل المرأة من حيث السبب، فنشاهد الكثيرات من النسـاء قد خرجن للعمل لاحاجة إليه بل لجمع المال والاكثـار منـه لا للغنى بل للترفيه عن النفس والاسـراف باللبـاس والزينة، أليست هذه حقيقة ترى بالعين المجردة في الصباح والمساء؟ فكم من ثياب تتبدل على مدار الاسبوع، وكم من روائح تختلف من صباح لمساء، وكم... وكم...

فأين يذهب العائد المالي الذي تنتجه المرأة؟ أليس يعود إلى دور «الموضة والتجميل» في الدول الغربية؟ أليس هذا مشجعاً على إرهاق اقتصادنا عامة؟؟..

فالـرجل العامل ـ الزوج والعازب على حد سواء ـ لايمكن أن تكون له هذه الصورة، ولو وجدت فهي نسبة لاتقيّم مقابل مانلمسه من المرأة.

هذه الاجابة التي نتحدث عنها تخص المرأة التي يستطيع زوجها كفـايتهـا والحفـاظ عليهـا، والفتـاة العـزبة التي لها أب يسعى دائماً لاسعادها، أولها معيل مهتم بها..

فهذا القسم من النساء هو الذي أحدث الضرر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن مضاره الاسرية.

أما إذا كانت الاسرة بحاجة ماسة إلى المال، وليس هناك معيل لها إلا المرأة، فلا مانع من عملها وهي محافظة على شرفها وحشمتها، لأنها تحاول بكل الطرق السليمة أن توفق بين العمل والمنزل، وهذه الحالة لو أحصينا عدد الموصوفات بها لوجدناها قليلة في مجتمعنا، لأن هناك الجمعيات الخيرية، فضلاً عما تقدمه الدولة من دور الايتام والعاجزين كي تستمر حياة الاسرة التي فقدت معيلها سواء كان هذا الفقدان بالموت أو الاقعاد وغير ذلك من أسباب العطالة الدائمة.

فلهذه المرأة سبب وجيه كي تعمل وتحافظ على وجود اسرتها واستمرار حياتها..

أما تلك التي خرجت للعمل ولاحاجة لها به إلا لتقضي مرادها وتتبع أهوائها، فكم لها من مضار تعود على اسرتها فضلاً عما تكلمنا عنه آنفاً، فمن هذه المضار مايحدثه عملها من خلاف بينها وبين زوجها حول راتبها هذا لي وهذا لك وأمام أولادها فيمتعضون لمايحدث، ويتأثرون منها تأثراً ملموساً، ومن جهة اخرى مايحدثه عمل الام من خلل تربية أولادها، فوليدها لايعرفها إلا شكلاً فلم يرضع منها إلا لفترة زمنية معينة، حتى أن كثيراً من الأطفال لم يذوقوا طعم حليب امهاتهم، ثم يدفع إلى الحضانة، ونترك هذا الحديث إلى علماء الطب لأنهم تكلموا عنه كثيراً، ووضعوا له ندوات، وبحوثاً مطولة حتى نفسية الطفل تختلف عن الذي رضع من امه، وليُسأل علماء النفس...

وكذلك الرحمة والحنان، وكل مايجب أن يتصف به الطفل، يفقده لترضي أمه أهواءها.

ومجموع الأضرار كلها يحدث في بناء الاسرة صدعاً خطيراً ربما يؤدي إلى انهياره، فكم من أطفال نشأوا منحرفين، وكم منهم نشأوا

ضائعين في الحياة الاجتماعية، وكم منهم فقدوا أهلهم في الحياة لعدم مشاركة آبائهم وامهاتهم مشاعرهم وأحاسيسهم ومايشتكون منه، وربما يقال: إن الطفل ينشأ في الحضانة، ثم في المرحلة الابتدائية وهكذا. . فيتعلم الآداب والمحافظة على كيانه. . ونقول: نعم إن كان الطفل مهيأً إلى ذلك أما إذا لم يكن مهيأً فماذا يحدث وهو صديق لجاره أو لقريبه الذي شذ عن الحياة الاجتماعية؟ فيتعلم منه مالا تحمد عقباه؟

وكثيراً نسمع ونرى الندوات والاجتماعيات التربوية التي تقام متضمنة الحث على مشاركة الاسرة مع المدرسة. .

فلما تفقد الاسرة احدى الدعامتين لها فلابد من حدوث ماتكلمنا عنه، لأن الزوج مهما كان عمله سهلاً فهو لايستطيع أن يجاري الام في اعداد الأولاد وتهيئتهم نفسياً وخلقياً، ورحم الله حافظ ابراهيم الذي قال:

الام مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
الام روض إن تعهده الحيا بالريِّ أورق أيّما ايراق

وكذلك الفتاة التي خرجت للعمل اشباعاً لمتعتها المادية فهي أخطر من الزوجة، حتى ولوكانت محافظة على مبادئها الاسلامية فلا تخلو من زرع الفوضى ولو بنسبة جزئية في كيان الاسرة والمجتمع لماذا؟

لأن أخواتها سيشعرن بالفارق بينهن وبينها، فهي تستطيع أن تخرج وترى ماترى وتشتري ماتريد، وتتصرف براتبها كيفما شاءت، وإن لم يكن هذا فلا بد من تأثر الفتاة العاملة بما حولها فكرياً واقتصادياً فتؤثر بدورها على اخواتها جميعاً لأن مجتمعنا أخذ بتحول وتغيير مخيفين بعد أن بعد عن المجتمع الاسلامي السابق

إن كل مامرَّ معنا من سلبيات ظهرت نتائجها في الاسرة من جراء عمل المرأة، فهل لهذه السلبيات من حلول؟

مهما تعددت الحلول، وكانت ذات مغزاً اجتماعي ومقصد حضاري للمحافظة على الاسرة لاتعطي ثمارها إلا بالقضاء على الصور التي نراها دائماً في حياتنا اليومية، والحالات التي نعيشها في واقعنا.

وهذه الصور والحالات لاتنتهي إلا بتحديد من يعمل من النساء، فكما أشرنا سابقاً، الحاجة إلى العمل ثم العمل المناسب.

فإن كانت المرأة مثقفة فلها مثال من الصحابيات اللاتي درّسن وعلّمن وخرجن أجيالاً شهد لها التاريخ، وإن كانت صاحبة رسالة بشرية، فالطب له مكانته في نفوس الناس جميعاً، فتعمل وهي مطمئنة بين أفراد اسرتها. مضفية عليها الحنان والرحمة فإن قامت بهذه الأعمال ضمن التعاليم الاسلامية، فإن كل السلبيات تذوب، ولايظهر لها لون من ألوانها.

ويكفي المرأة فخراً ان تقوم بالتثقيف والتطبيب فضلاً عن أعمال كثيرة نعتبرها ثانوية تستطيع أن تقوم بها في بيتها ونركز على وجودها في البيت تطبيقاً لقول النبي ﷺ في حديث المسؤولية: « . . . والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها. . » وقد قال رسول الله ﷺ مبيناً منزلتها مع الرجل: « إنما النساء شقائق الرجال ».

فبهذه الأعمال المنظّمة تدفع المرأة بعجلة التقدم في مجتمعنا إلى الأمام.

أما ماابتلينا فيه فهو مشاركتها في كل عمل سواء كان مناسباً لها أم لا، تستطيع القيام به أم لا، فهناك أعمال بدأت المرأة في مجتمعنا القيام بها، ولكنها تجبر نفسها على ذلك عناداً منهاوبأنهاتستطيع أن تعمل كل مايعمله الرجل، وهي تكذب على نفسها وتخالف شعورها لأنها لم تخلق لذلك، وهذا هو البلاء الذي أحدثته المرأة، بلاء أتى بالضرر على الحياة الاقتصادية، وبلاء على نفسها لأنها ستفقد انوثتها وكيانها كأم وزوجة، والتجربة أمام اعيننا والأمثلة كثيرة في واقع المجتمع الغربي

تنقـل إلينـا عن طريق « التلفاز » فنرى ونشاهد نساءً فقدن الأنوثة، ودخلن مجالات لاطـاقـة لهن بها حتى توصل بهن الأمر إلى الألعاب الرياضية كرفع الأثقال، والمصارعة، ونجد من يدافع عن هذه الظواهر فيقال: إنها طوعت جسمها ومارست الأنشطة المختلفة حتى أصبحت بهذه الحالة، ولكن أين انوثتها أين فتنتها؟ فُقدت وتلاشت لأنها اجبرت « فيسيولـوجية » جسمها على التغيير، فنرى لاعبة « الجنباز » اختلف جسدها عن المرأة الطبيعية ومثلها التي أصبحت بطلة في الجري . . . ومثلها . . . فحينما تصبح بهذه الحالة كيف لها أن تحمل ثم ترضع وقد فقدت قسماً من الهرمونات الأنثوية؟

هذه هي أهواء المرأة ومتعتها في الحياة تريد أن تقلب موازين الحق وطبـائـع المخلوقـات، ومـا ذلك إلا لنكرانها لذاتها وفقدانها لمقومات صلاحهـا « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون » المؤمنون ـ ٧١ ـ.

فان استمرت المرأة فيما عليه الآن، فماذا سيحدث في مجتمعنا بعد هذه الأجيال؟ ومـاذا سينتـظر الاسرة بعد هذا الخلل؟ فيا أيتها المرأة المسلمـة: فلتـدركي إذن قيمـة وجـودك في الاسرة ودورك في بنائها، ولتجعلي عملك ضمن حدود الشريعة الاسلامية التي شرعها الله لك.

معضلة تعليم المرأة

قال الله سبحانه وتعالى: «قل هل يستوي الذين يعلمون والذي لايعلمون . . »
الزمر: آية «٩».

معضلة تعليم المرأة

أضفنا الى كلمة « تعليم المرأة »معضلة، لأن مجتمعنا جعلها معضلة، وأوجد الأسباب كلها كي يقلب موازين الفضيلة العلمية الى رذيلة، لا يقربها إلا المبتعد عن المفاهيم الاسلامية، فأصبحت الصورة مشوهة، شوهها مدعو العلم الذين قطعوا حبل النفع، ووصلوا حبل الضرر بالعلم، فبدلاً من أن تكون الفتاة المتعلمة عنصراً مفيداً، ولبنة متينة في بناء المجتمع، أصبحت شوكة ضارة، وهي التي تمثل أم المستقبل، ومربية الأجيال، أخذت الظنون تكثر على واقعها، وتطوف حولها التساؤلات المتعددة،من هذه؟ أهذا ما تعلمته في المدرسة؟ أهذا ما نالته من شهادات عالية؟ . .

كثرت التساؤلات لكثرة انحرافها المدمر في المجتمع، فوقف أصحاب العقول المحدودة عثرة أمام نسائهم لنيل الدرس والتعليم، فحرموهن من التعليم يقيناً منهم أن عصرنا عصر فساد، والعلم فيه أصبح فاسداً، متأثرين بمايرونه في واقع الحياة من المتعلمات، وبما يشاهدونه من أفعالهن وتصرفاتهن، وأخلاقهن عامة، فاعتبروا تعليم المرأة فساداً لأخلاقها ومبادئها.

أما أصحاب العقول المتزنة، التي تضع حكمها من خلال الشريعة، فقد أعطوا لنسائهم حق التعليم ضمن مبادئهم، فلا انطلاق

ولا افراط ولا تدهور في الاختلاط، أقنعوا الدارسات بأن العلم ذو مكانة، رفع من شأنه الاسلام «هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون..» الزمر آية: ٩. وفهمت التلميذة حدود الأدب والأخلاق، فتابعت دراستها وتحصيل العلوم من غير تعقيد ولا انحلال، ولكن هل هناك معضلات تواجهها طالبة العلم في عصرنا؟؟

أجل إنها تواجه معضلات تعليمية ضمن حالتين، تختلف كل واحدة منهما عن الاخرى.

أما الحالة الاولى: فهي معاناة الطالبة المسلمة معاناة لاحدود لها من جراء الاختلاط بين الطالب والطالبة على مقاعد الدراسة هذه الظاهرة التي حدثت في المجتمع المسلم عامة للقضاء على اسلامية المرأة بحجة التعليم، ولم تكن هذه الظاهرة حدثاً عادياً بل قد خطط لها المفسدون الذين يسعون في الأرض فساداً كالصهيونية ومن يساعدهم من الغربيين، وتحقق المخطط في أكثر المجتمع الاسلامي، ونال الترحيب من ذوي النفوس المريضة، التي بعدت بفكرها عن مبادئها الاسلامية ومثلها العليا.

فماذا تفعل الطالبة المسلمة إزاء ذلك؟

الكثير من الطالبات المسلمات، يتابعن الدراسة وهن في نفسية قلقة، فمنهن من تستطيع المتابعة وهي معافاة في عقيدتها، ومنهن من تسقط في أورام الفساد القاتلة، فتضيع مع الضائعات، وتنغمس في ملهى الشهوات.

وما وضع هذا المخطط، وما درس دراسة اجتماعية إلا لإبعاد الطالبة المسلمة عن تحصيل العلوم الكونية والعقلية والبشرية، وبهذا الإبعاد يحصل المخططون على فائدتين: فائدة ابعاد الطالبة المسلمة، وفائدة تجهيلها بما يحصل من تقدم علمي في مبادين الحياة.

وأما الحالة الثانية: فهي اكتفاء الطالبة المسلمة بأخذ العلوم

الشرعية وتدارسها، ومتابعة ما يحصل من تقدم علمي متابعة خاصة .

وبهاتين الحالتين تنال الطالبة التي بعدت عن مبادئها الكأس المعلّى، وتنال العلوم كلها، فتشق في طريقها في المجتمع كي تبذر فيه ما جنته، مهما كانت محافظة على شرفها وأخلاقها، فلابد من زعزعته، وهذا مايريده المخططون الصهاينة .

ولا نقصد، بهذا الحديث التحامل على المرأة المسلمة التي بعدت عن دينها، بل نريد أن نعطيها حقيقة واقعها الذي تعيش فيه، ونصور لها ما تعانيه في وجدانها وضميرها من فساد مميت، كي تصحو من سباتها، وتعود الى مثلها وأخلاقها الفاضلة .

نعم هناك ردّات تحدث للطالبة المسلمة، فبعد أن تكون منزلقة في متاهات التحلل، تعود الى اسلامها، وتتابع تحصيل علومها وهي مطمئنة لما تفعله .

هذه هي معضلة تعليم المرأة، فمن الذي أوجدها؟ وكيف سارت في هذا الطريق المعوج؟ .

نعود الى الماضي مختصرين سلّم التاريخ، ومجمّعين لصورته، تاريخ تعليم المرأة المسلمة .

ففي عهد النبوة أخذت المرأة حقها الوافر من التعليم لقول النبي ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقد ثبت في رواية ثانية و« مسلمة » حتى لو لم تثبت الرواية الثانية، فإن كلمة « مسلم » من حيث اللغة تعطي معنى الذكر والانثى على سبيل العموم. والفرضية في الحديث فسرها كثير من العلماء أنها مختصة في طلب العلوم الشرعية التي تخص الرجل والمرأة في دينها، وهناك أيضاً علماء اعتبروا التعليم واجباً في العلوم الشرعية، ومباحاً في بقية العلوم ويدلل هؤلاء على قولهم هذا ما قاله عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضي عنها :

« ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة » وعلى هذا تابعت المرأة المسلمة تعليمها غير مقيدة بفن من فنون العلم ، فلها حرية الاختيار بعد أن تتعلم مايجب عليها من الدين وعلومه .

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « وأيما رجل كانت عنده وليدة ـ أَمَة ـ فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » فكيف بالمرأة المسلمة الحرة؟.

وهكذا وصلت المرأة المسلمة الى أسمى درجات العلم والأدب والثقافة، وشربت من منهل العلوم في العصور الذهبية للاسلام حتى أترعت، فكانت منهن الكاتبة والشاعرة، والطبيبة والقاضية، والاستاذة والمعلمة. . . ولا نريد أن نضرب أمثلة لذلك، فإن كتب التاريخ تتحدث عنهن، وكتب الأدب ذكرت قسطاً وافراً عن حياتهن .

ثم جاءت عصور الانحطاط، انحطاط العلم عند المرأة، فحُرِمَت من العلم وتُرِكَت قابعة في بيتها مُهْمَلَة لا تقرأ ولا تكتب. واستَغل هذا الموقف المخططون للصهيونية، فنادوا باسلوبهم لخروجها من قوقعتها، طلباً للعلم والنور، حاملين العلم بيد والفساد باليد الأخرى، وتعالت معهم أصوات الضالين الذين عموا بأنوار المدنية الغربية المزيفة، فراحوا ينادون على غير هدىً بتعليم المرأة وخروجها لتلحق بالركب، من غير قواعد مضبوطة لتربيتها ومتابعتها، فحدث ما حدث من خلل تعليمي، حصلت منه هذه الفجوة المخيفة .

يقول العالم الغربي « اليكس كاريل » في كتابه الانسان ذلك المجهول: « أليس من العجيب أن برامج البنات لا تشمل بصفة عامة على أية دراسة مستفيضة للصغار والأطفال، وصفاتهم الفسيولوجية والعقلية » فهذا مفكر غربي تحدث عما يعانيه مجتمعه من معضلة التعليم تعليم المرأة، ويريد وضع حلول لها!! فكيف بنا نحن أصحاب فكر سليم ورسالة الاهية عالمية، توفرت الحلول السليمة في ثقافتنا

الاسلامية، فتركناها، وأخذنا نلتمس الحلول عند غيرنا وهم بحاجة لما هو بين أيدينا، وضائع عندنا؟؟!!...

وبعد هذا العرض، بماذا نضبط التوازن السليم لتعليم المرأة المسلة المعاصرة؟ وبماذا تحل هذه المعضلة؟.

إن ما نراه ونعتقده، أنه لابد من تنظيم منهج علمي عام للفتاة، واهتمام جاد من علماء التربية، بوضع أسس مبنية على مبادىء سليمة، كي يحصل التوازن المطلوب بين كيان المرأة، ووظيفتها الطبيعية، وبين فريضة العلم التي نادى بها الاسلام.

فإذا ما تم ذلك فسوف تعطي المرأة المسلمة ثماراً يانعة تجعلها أداة بناء لاهدم، ونوراً يضيء للأجيال القادمة طريقها، لا ناراً تحرق كل المثل العليا، فتأتي الأجيال فلا تجد إلا حطاماً لا فائدة منه.

ولابد من كلمة موجهة الى كل امرأة مسلمة: إنك نصف المجتمع فبك الجهل القاتل، وبك العلم النافع للمدرسة التربوية الأولى

إنك تحملين الخير والشر، فاسعي وراء تحقيق الخير، وتابعي طريق العلم والنور، كي تؤدي رسالتك الاسلامية على أكمل وجه، وتعطي المجتمع كل نفع يظهر نتاجه بين براعم المستقبل...

كما وأنه لابد من توجيه إيضاح لكل راعٍ مسؤول عن رعيته، ولكل راعية مسؤولة في بيت زوجها أن يكون تعليم الفتاة في بدء الأمر تعليما دينياً، وعلى الخصوص تعليمها كتاب الله الكريم، لأنها بذلك تصبح محافظة على كرامتها وصون شرفها، ومتعقلة لمفاهيم حياتها، ومن بشائر الخير أن بعض المجتمعات الاسلامية وقياداتها أخذت تهتم بفتح معاهد لتحفيظ القرآن الكريم تضم إناثاً وذكوراً، هادفة توعية الجيل الناشىء توعية اسلامية، كي يكون مؤمناً بالله متمسكاً بدينه، وبذلك يصبح المجتمع متماسكاً، لا تؤثر فيه الأهواء ولا تتلاعب في بنائه أيدي الضلالة.

معضلة نفسية المرأة

قال الله تعالى: «الذين آمنوا تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب»
الرعد: آية: (٢٨).

معضلة نفسية المرأة

لم يكن لهذه المعضلة وجود قبل هذا القرن الذي نعيش فيه، ولم يكن من قبل علم يسمى بعلم النفس، فهو علم مستحدث تتبعه علماء مختصون، لما لاحظوا من أشياء يعاني منها الانسان، لاعلاقة للجسد فيها.

والحديث عن هذا الموضوع يطول بنا إذا أردنا استقصاءه، لتعدد أنواعه، وتنوع أمراضه، التي ظهرت في هذا العصر ولا نريد أن نبحث فيما قاله « فرويد » ومن معه، الذين وضعوا حلولاً وأسساً لهذا العلم، لأنها باطلة وواهية في نظر الاسلام، وليس لها وجود عند كل مؤمن، من حيث تطورها وتراكم معضلاتها، فالقرآن تحدث عن النفس بوضوح ولم يغفلها أبداً، وتابع أطوارها ونتائجها، ثم وضع لها ما يجعلها مستقيمة، وبهذا تبقى معافاة من التعقيد والاضطراب العصبي، وما أشبه ذلك.

وإن قورنت النفس بشيء آخر فهي شبيهة بالجسد، فالجسد السليم تكون عملية النشاط فيه بين خلاياه سليمة، تؤدي واجباتها على أكمل وجه، فإذا حدث أي خلل في هذه الخلايا ظهر المرض على الجسد، فتجب معالجته، وكذلك النفس إذا أحيطت بسياج من الدين مع المحافظة عليها والعناية بها، فلا يحدث أي خلل وإن قطع هذا السياج وأهملت المحافظة والعناية، مرضت النفس بأمراض لاتحصى،

وتبقى مختفية لا يستطيع علماء النفس على اظهارها والتغلب عليها، لأنها تبقى كامنة متسترة بعدة حواجز لا ينفذ اليها المختصون .

وبعدما عرضنا فكرة مختصرة عن النفس، نعرض وضع المرأة المسلمة من الناحية النفسية في مجتمعنا .

إن ما تعانيه المرأة من مرض نفسي محدث ظهر حينما تركت عقيدتها وإيمانها بالله، واتبعت أهواءها النفسية، مخالفة طبعها وطبيعتها، فنتج المرض وتنوعت حالاته الغريبة التي يقف أمامها علماء النفس عاجزين، فالسبب الأساسي لظهور المرض هو عدم الاستقرار الروحي والعقلي والجسدي عندها، وبالتالي اضطربت نفسها، واصيبت بمعضلة مرضها .

وليس في هذا الحديث مزاودة لأن مثال الواقع أمامنا نراه ونسمعه كل يوم عن المرأة الغربية، فهي ذات نفسية معقدة علماً أنها أشبعت كل غرائزها، ونالت كل مرادها، وما تصبو اليه من ملاذ حياتها .

ولكن لماذا أصيبت بالمرض النفسي ؟

والاجابة واضحة وسهلة : إنها شعرت وتشعر دوماً بالنقص في ذاتها وكيانها، لأنها تعلم لما خلقت له، فتراها تميل بنفسها الى الأمومة، والى الحياة المستقرة، التي تحوي زوجاً لها يملأ عليها حياتها بالحب والحنان والمودة، ولا تجد ميولها إلا بحالات تنفرد مع نفسها، فتضطرب أعصابها وتقوم باحثة عن أي شيء يغطي ما خالج نفسها، هروباً مما شعرت به ومالت اليه، وهكذا تستمر على ما هي عليه من ضياع نفسي، فتكثر عليها الأمراض وتتنوع عِلاّتها، ولا تجد الدواء الشافي لمعالجتها، وازداد مرضها بفقدانها لمثلها العليا وإيمانها بالله . فمن أين يأتي العلاج ؟ وكيف يتم الشفاء ؟؟ . .

فمن المصائب أن تصبح المرأة المسلمة في مجتمعنا مثيلة للمرأة الغربية، فإذا ما حلت بها الكارثة، فإنها ستنتهي من مثلها وكيانها،

وبهذا الانتهاء يقضي على تكوين الأسرة التي لها منهجها القويم، وتربيتها السليمة سيحدث هذا إذا استمرت ببعدها عن دينها ومثلها العليا .

وأما إذا وضعت الموانع القوية أمام أي مرض نفسي يؤدي بها الى التهلكة، وبقيت محافظة على شرفها وأخلاقها متبعة تعاليم إسلامها، فلا تصل الى تلك الحالة، ولا يمكن أن تمر بتلك المرحلة . .

وأما العلاج الاسلامي للنفس البشرية فهو علاج نابع من الايمان وحلاوته، الذي يغذي النفس البشرية بالتضحية والفداء والاستقامة في ضعها، فتصبح نقية صافية، والأمثلة على هذا العطاء كثيرة، حدثت في عهد النبوة وما تلاه من عهود حتى زماننا هذا .

فحينما يُقْدم المؤمن على أداء فريضة الصيام، يتصارع مع نفسه، ثم يجعلها راضية فيما أقدم عليه، راضية بالعودة الى ما تريده حينما يمضي النهار وتغرب شمسه، وعند إفطاره يتلذذ بحلاوة الانتصار على النفس وكبح جماحها . .

والمذنب الذي اعترف بذنبه تراه راضياً بتطبيق أحكام العقوبة عليه، ومندفعا الى نيلها لأنه وجد حلاوة الايمان فأراد ردع نفسه التي ساقته إلى هذا الاقتراف .

وكذلك أصحاب التضحية الذين يقدمون على مالا يستطيع غيرهم على تقديمه والاقدام عليه، وهؤلاء المضحون كثيرون يتحدث عنهم التاريخ دائماً، وسيبقى حديثه مستمراً حتى قيام الساعة، وأما سبب اقدامهم على التضحية لأنهم روضوا أنفسهم وجعلوها مطمئنة راضية لما فعلوه قاصدين بذلك نفع العباد ودرء الضرر عنهم، وبالتالي نفع أنفسهم في يوم الميعاد .

وهناك داء تصاب به النفس البشرية، وقد نبه عليه رسول الله ﷺ بقوله :

« والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » فإذا أصيب الانسان بهذا الداء، نراه يتظاهر بالخير والنفع والصلاح، ويضمر الشر والضرر والفساد، ولا يتم الخلاص منه إلا بتنقية النفس وصفائها وذلك يعرضها على ما جاء به الاسلام، وإلا فلابد من أن تفضح ويكشف سترها، وتفوح رائحة الفساد منها . . .

ولنستمع الى ما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى عن النفس :
« ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها » .

إنها النفس البشرية المطواعة إذا طوّعتها، والشاذة إذا أفلتّ عنانها، ففيها الخير والشر، فإن غذيتها بالخير أنتجت الخير وأثمرت نفعاً وفيراً، وإن أهملتها وغذيت بالشر فسدت وأيما فساد .

فالانسان كائن مخلوق، مزدوج الطبيعة سواء كان ذكراً أو أنثى، ومزدوج الاستعداد، والمقصود بالازدواجية أنه بين السالب والموجب إن صح التعبير وبين المد والجزر، فهو قادر على تميز الشيء إن كان خيراً أو شراً نافعاً أو ضاراً، كما أنه قادر على توجيه النفس في ايجابياتها وسلبياتها، فهذه القدرة كامنة في كيانه وجدت مع طبيعته المزدوجة كذلك، لكونه مخلوقاً من طين ومن نفخة الله فيه من روحه، والموجه لهذه الازدواجية القوة الواعية المدركة التي نسميها « العقل » الذي أعطاه الله إياه، وميزه عن سائر مخلوقاته، وهذه القدرة الواعية قادرة على الاختيار والتوجيه، لها ارادتها، فتوجه الاستعدادات الفطرية القابلة للنمو الى الخير أو الى فعل الشر، وبالمقابل وضع الله سبحانه وتعالى له موازين ثابتة ودقيقة كي يستدل بها عليه، وهذه الموازين أتى بها الأنبياء والمرسلون، حتى يكون الأمر واضحاً له . .

فإن ربى النفس على فعل الخير باتباع الموازين التي وضعها الله

له، وصل الى تزكيتها وتطهيرها، فجعلها مطمئنة في الحياة الدنيا وفي الآخرة وبذلك تكون قد وصفت بوصف قول الله تعالى عنها :

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي في جنتي » .

وأنت يا أيتها المرأة المسلمة عليك أن تجعلي نفسك مطمئنة كي تكوني مع عباد الله الصالحين، وتنالي رضاء الله سبحانه وتعالى، وما عليك إلا الابتعاد عن اتّباع الهوى كي تنجي من فتن الحياة، وتكوني مع الفاضلات الصالحات في نعيم مقيم .

معضلة الجنس عند المرأة

قال رســول الله صلى الله عليه وسلم: « لاينـزو أحدكم على زوجته كما ينزو العير».

معضلة الجنس عند المرأة

إن كلمة «الجنس» لم تستعمل بمعنى الشهوة إلا في وقت متأخر من عصرنا ، ولتفاقم مشكلة الشهوة بين الانثى والذكر ، ووجود الفوضى بينهما التي لا ضابط لها ، استعملت كلمة «الجنس» لتدل على الشهوة بين الرجل والمرأة فاصطلح عليها واستخدمت للاشارة إلى الفئتين المتميزتين ذكوراً واناثاً ، وأصبح لها مدلولات كثيرة عند علماء الفلسفة ، والطبيعة .

فالاحساس الجنسي هو أقوى وأعنف الاحاسيس التي تتمرد في نفس الفرد ، وتصبح عنيفة أكثر إذا أحيط بها الاطمئنان . والمقصود من هذا أن الشهوة الجامحة اذا أتيح لها الظهور والوضع المناسب لانفجارها ، أصبحت معضلة يعاني فيها المجتمع البشري عامة ، وقد تم هذا الانفجار في عدة مجتمعات من العالم كالمجتمع الغربي والشرقي وأما مجتمعنا الاسلامي ككل . فهو أقل معاناة وأخف انفجاراً لما حدث في بقية المجتمعات ، فلا نستطيع أن نقيس الحالة الجنسية . وماحدث لها من انفجار جزئي على ماحل في المجتمع الغربي والشرقي من تدهور كامل وانفجار قاتل للجنس بين الرجل والمرأة ، ومع هذا التهور الملموس عياناً ونتيجة ، تراهم يحتجون بأن هذه الظاهرة أصبحت أمراً طبيعياً بين الجنسين ، يعاندون بذلك واقع الحياة الاجتماعية ، من

تفكـك أسري ، وضياع للمـرأة ، حتى أصبحت غير مستقرة نفسياً ولاخلقياً ، وقد يقال : إن النهضة المادية عندهـم ، والتقدم العلمي ، أخـذ حيزاً كبـيراً من تفكير الفرد ، فشغل بذلك عن أمور أخرى ، والاجابة على هذا القول : إن الجنس لايشغل بغيره ، ولايمكن لأي احساس آخر أن يحل محله ، أو أن تقتل غريزة الانسان الجنسية ، لأنها متأججة دائماً في الانسان ، خلقت معه ولاتنفصل عنه أبداً ، حتى أن المرأة أشـد شهـوة ، وأقوى تفكيراً في هذه الوظيفة الجنسية ، فمهما شعلت فلابد من التفكير في أمر خلق معها ، فكيف تعتبره ثانوياً وهي تفكر به في قيامها وجلوسها ، وفي كل وقت من يومها ؟! لذلك نراها تعيش في قلق دائم ، ونفسية مضطربة ناتجتين عن عدم استقرار أسرة تضمها ، فلا زوج لها يرعاها وترعاه فكرياً وجنسياً ، ولاأولاديملؤون عليها فراغها وتعطيهم قسطاً وفيراً من حنانها ، فهي متنقلة من هذا إلى ذاك ، عاشقة تارة ومعشوقة تارة اخرى فانحرفت جنسياً الذي أدى بها الى جموح الشهـوة ، وثورتها ، وطلبها في كل وقت ، وكل ماذكر من نتائج عائد سببه إلى الاختلاط الحر الطليق ، الذي أدى الى تجاذب الذكر والانثى ، ثم إلى فوضوية تامة ، فشاعت الاحقاد والضغائن بين أفـراد المجتمـع لما لاقـاه من ويلات شهـوانية قضت على كل أسر المجتمـع ، وذلـك من جراء افلات جماح الشهوة الذي بعث اللهفة الدائمة في الطلب فأدى ذلك إلى إضعاف كيان الاسرة والفرد معاً مع اضعـاف الجسد والروح والنفس ، وارهاق الاعصاب ، فترى القلق والعذاب النفسي مهيمنين على كل نفوس الناس عامة .

وأما معضلة الجنس في مجتمعنا الاسلامي المعاصر ، فهي تزداد تفـاقـماً يوماً بعد يوم ، نتيجة لتدهور العلاقات السليمة في المجتمع والاسرة ، وحلول العـلاقات المادية والجنسية مكانها ، فأتيح للغريزة الجنسية جواً ملائماً تحركت فيه وانطلقت من أصحاب الشهوات الجامحة

الذين مهدوا لها طريقها المصنوع من الاختلاط وحرية المرأة المطلقة ، كي تتمتع بما تريده من شهوات .

إذن : إن نشأة هذه المعضلة لها عمادان هما : خروج المرأة واختلاطها مع الرجال كي تثير الغريزة الجنسية ، وتوقظ هيجانها ، ولهذين العمادين دعامة وركيزة قوية وهي حرية المرأة في أهوائها التي تميل اليها ، من لباس ، واظهار لمفاتنها كيفما تشاء ، ومتى شاءت .

وهكذا استمرت المعاناة من هذه المعضلة في مجتمعنا ، وازداد تفكير الفرد في اشباع غريزته الجنسية ، وبالمقابل أخذت المثل العليا والاخلاق الفاضلة بالتضاؤل والاختفاء من ساحات التفكيرالفردي ، ليحل محلها جماح الشهوة واشباعها بأي اسلوب مصنوع .

وحينما ندخل في الحياة اليومية لمجتمعنا الاسلامي ، نلاحظ أن معضلة الجنس أخذت تزداد وتتوسع ، فنرى صيحات الشهوة معلنة ، وويلات الغريزة تنادي أصحابها من كل مكان تنظر إليه .

فماذا تفعل المرأة تجاه هذه المغريات ، وقد فقدت الكثير من مثلها وأخلاقها ؟ وهي التي ملئت شهوة فأطلقتها ، وشحنت حياةً فأفرغته وضيعته ، فسارت بلا تردد لخوض هذا الجحيم ، وسقطت في هاويته ، فلا ترفع صوت النجدة إلا بعد أن فقدت كل كرامة وشرف ، وضاعت في خضم الشهوات وابتلعتها أمواجها ، فيختفي صوت النجدة في وجدانها الذي اختفى وابتعد عنها . هذه صورة يعيشها مجتمعنا ، ولكنها ليست بالصورة التامة المتكاملة ، لوجود دوافع دينية تبعد الكثيرات عن هذه الحالة ، وتجعلهن في منأى عن هذا الشيوع الجنسي ، فلولا الضوابط الدينية التي مازالت موجودة والتربية الاسلامية لكان مجتمعنا كله يموج بالمفاسد ، ويأن من وطأة مشاكل الجنس ، ويأخذ السبق على المجتمع الغربي .

فما زالت المثل العليا تدفع الكثيرين والكثيرت عن الوقوع في الهاوية ، ومازالت العقول الحية والسليمة تنادي عقول الرجال والنساء بعدم الهبوط إلى الرذيلة .

ولكن ليس معنى هذا ، أننا مازلنا بخير ، لابل الويل ينتظر الاجيال القادمة ، إذا مااستمر هذا الانحدار التدريجي للاخلاق والمثل ، فأساليب الاعلام والاعلان ، والترفيه والتسلية ، قد انتشرت في أرجاء العالم ، وصفقت لها أيدي الضالين في المجتمع الاسلامي كله ، فدخلت علينا أصناف متنوعة من الدعاية المضللة التي تهز الصرخ الشامخ من مثلنا وتسربت الى مجتمعنا أعاصير الفتنة والضلال ، فكم من فنون اعتبرناها فكرية تربي الاجيال ، وهي سموم قاتلة لها فالمسارح والافلام والمسلسلات والاغاني كلها تحمل خناجر القتل لتقتل التربية السليمة ، ثم تقتل الطهر عند المرأة وهناك القصص والروايات التي تنبىء عن انحلال خلقي للقضاء على كل فضيلة التي مازالت المرأة المسلمة متمسكة بأهدابها .

لقد قدمنا «شريحة» عن الواقع الذي يعيشه المجتمع الغربي ومجتمعنا قبل أن نتكلم عن الاسباب التي أدت إلى هذا الانحطاط البشع في الغريزة الجنسية ، واذا أردنا بيان هذه الاسباب ، فانه يجب علينا أن لاننسى أن نذكر السبب الأول والمدبر لهذا التخطيط الذي ظهرت نتائجه ، وكشفت أخطاره في المجتمع البشري عامة ، ألا وهو «فرويد» وأمثاله الذين روجوا فكرة اعطاء الحرية للغريزة الجنسية ، حتى يكون التكافؤ تاماً بين الرجل والمرأة ، وليتم الوصول إلى القضاء على بناء الاسرة الاجتماعية ، وبناء الفرد لكونه أساساً في بنية الاسرة ، يقول «فرويد» : «إن الانسان لايحقق ذاته بغير الاشباع الجنسي . . . وكل قيد من دين أو أخلاق أو مجتمع أو تقاليد هو قيد باطل ومدمر لطاقة الانسان وهو

كبت غير مشروع» . إنه فكر سام يراد به القضاء على الحياة الاجتماعية النافعة فجاء على المجتمع كسهام مسمومة أصابت ماأصابت من المجتمعات البشرية .

وقد قدم فرويد للمجتمع البشري ولتدعيم دعواه أمثلة خيالية كعقدة «أوديب» الذي أحب أمه فقتل أباه ثم ندم،وعقدة «الكترا» المحبة لابيها فقتلت أمها ثم ندمت .

ورد على هذه الافكار علماء كثر فدحضوا ادّعاءه ، وبينوا بطلان نتائجه ، ونضيف على مابينوا ودحضوا ، أن الندم الذي صدر من الفاعل بعد فعله ، أليس هو من الوازع الديني ؟ لأن الندم لايأتي إلا من دافع ديني ، فلو لم يكن الندم لكان الفاعل راضياً بما أقدم عليه ، ويعتبره طبيعيا . . .

وهكذا أحيكت فتن الجنس ، والاسباب المؤدية لها من قبل «فرويد» وغيره ، لتقويض المجتمع البشري ، وهذا ماورد في بروتوكولات حكماء صهيون «يجب أن نعمل لتنهار الاخلاق في كل مكان ، فتسهل سيطرتنا . . إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكيلا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الاكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه» . .

وانهارت الاخلاق ، وانهار المجتمع الغربي وغيره من المجتمعات البشرية نفسياً وخلقياً ، وأخذ المجتمع المسلم ينهار تدريجياً ثم ظهرت عدة أبحاث مطولة ، وتصريحات كثيرة وواضحة تطالب بالصحوة بعد الغفوة ، وإيقاف ثورة الجنس العارمة ، التي تؤدي إلى أوخم العواقب وأسوأ النتائج للمجتمع البشري عامة .

وقد اعتبر بعض العلماء خطر الجنس أقوى وأهم من خطر الطاقة الذرية ، لما لوحظ من سيطرة الجنس على المجتمع ، والتي قد تؤدي إلى تدهور الحضارات . .

ومازلنا نسمع صيحات متتالية تنبه على خطورة الموقف ، ولكنها لاتجدي ولايسمع لها ، لاستفحال الداء وعضال المرض ، وفقدان الدواء !! . .

ولنبين بعض ويلات الجنس التي حدثت في العالم المتحضر ، فمن تلك الويلات تعدد وتنوع الامراض نتيجة للفوضى الجنسية ، فمرض الزهري وهو داء عضال ، يعاني منه الكثيرون الذين عاشوا وقبلوا هذه الفوضوية . ومرض البرود الجنسي الذي انتشر غرباً وشرقاً ، مما أدى ويؤدي إلى اضعاف النسل والميول الى تغطية هذا الضعف بتناول المخدرات ، أو اتباع طرق الاجرام أو المغامرات القاتلة ، وكم نسمع ونرى ونقرأ عن حالات الشذوذ الجنسي التي تفشت في المجتمعات .

ومن أمراض الفوضى الجنسية التخلف العقلي ، وعدم اللياقة البدنية ، وظهور أمراض جديدة ومتنوعة لم يكن لها وجود من قبل، وعلى الخصوص في الجهاز العصبي لجسم الانسان .

ونود أن نقف قليلاً عند مرض البرود الجنسي ، إن هذا المرض ينتج عن الاحتكاك الدائم والمستمر بين الرجل والمرأة ، فالرجل يرى مفاتنها ، ولاتخفى عليه خافية منها ، وهي بالمثل ، فمهما كانت حدة الغريزة الجنسية بينهما جامحة وجارفة، فلا بد من أن تخبو نارها، وبهذا الجنون، يظهر مرض البرود الجنسي عندئذ يحتاج المصاب به للعلاج ، فيهرع الى الطبيب ، علماً أن أصل القاعدة في اشاعة الجنس هو اشباع الغريزة ولكن الاشباع تحول إلى مرض آخر ، فأتى مرض على مرض . .

هذا على الصعيد العالمي ، أما على الصعيد الاسلامي ، فهناك من يضع دائماً أمام كل التائهين حقائق لاتنكر عما يحدث في مجتمعنا

المسلم ، من ميول واسع النطاق إلى الشيوع الجنسي وهناك من ينبه على ماسيحدث لمجتمعنا إن هو بقي متابعاً لهذه الطريق المهلكة . ولابد من ردّة إلى القيم والأخلاق . وإلا سيحدث مالا تحمد عقباه .

ونحن كمجتمع مسلم نختلف عن المجتمعات البشرية الاخرى ، من حيث الدين ، ومن حيث إننا أمة لها كيانها وتاريخها ومبادؤها . . .

فبالعودة الى الدين نجد الحلول المناسبة التي تنهي كل الانحرافات والمشكلات ، فلنستعرض ماتحدث به الاسلام عن الجنس ، وماذا قال عنه ؟ وهل أطلقه من عقاله ، وترك للغريزة تمتد كيفما شاءت ، أم أنه أوقفها ، وجعل لها حدوداً معقولة ، أم كانت هذه الحدود مصطنعة فأخذت تنهار ؟؟

لا إطلاق ولا اصطناع ، بل تنظيم دقيق يحتاجه المجتمع البشري بأسره اليوم .

فالاسلام لم يغفل عما تدركه الحواس في الكائن الانساني ، ولم يهمل مايحتاجه من مطالب تحمي كيانه فضلاً عما أعطاه من معنى روحي . كالعقيدة والفضائل ، واصلاح النفس ، واصلاح العقل لنفع المجتمع . .

وبمعنى عام : لقد اهتم الاسلام بالانسان اهتماماً متكاملاً فلم يترك له أي نقص يجعله شاعراً بفقدانه فوضع له التوازن بين الروح والجسد ، وبين الروح والعقيدة ، مع مايتعلق بالحياة للحياة ، وبالآخرة للآخرة .

وقد اعتبر هذه الغريزة الجنسية طاقة فطرية فطر عليها الانسان ، فيجب أن تنظم لتصرف ضمن منفعتها ، فوضع لها مصرفاً سليماً ومخرجاً منظماً ، ألا وهو الزواج ، ولم يقصد الاسلام بالزواج انهاء

الغريزة فحسب بل لربط وشائج المحبة والرحمة ، وتقوية كيان الاسرة المؤلف من الرجل والمرأة ، ثم للمحافظة على النوع البشري ، قال الله سبحانه وتعالى : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة . . » الروم ـ ٢١ ـ وقال في أول آية من سورة النساء : «ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً . . . » .

وأما المصرف السليم والمنظم للشهوة فقد قال الله سبحانه «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم . . » البقرة ـ ٢٢٣ ـ ولكي تكون الشهوة بعيدة عن المخاطر طلب الاسلام من الفرد المؤمن أن لايجعل لها سبل الجموح مفتوحة بل يوصدها أمامها وذلك بقوله تعالى : «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم . . » النور ـ ٣٠ ـ «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهم ويحفظن فروجهن . . » النور ـ ٣١ ـ .

ويطالب رسول الله ﷺ الشباب بالزواج لكبح جماح الغريزة الجنسية بقوله : «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج . . »

وماعلينا إلا أن نفكر بالبعد النافع الذي قربه الينا رسول الله ﷺ بقوله : «وفي بضع أحدكم أجر فقال المسلمون متعجبين : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر !! فقال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟! فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر . . » .

فحينما تطبق هذه الضوابط السليمة على الغريزة فلا يمكن لها أن تجمح أبداً بل ستعود على المجتمع بالنفع وعلى الفرد بالسلامة والاطمئنان .

وإن رسول الله ﷺ تحدث عن العلاقة الجنسية بين الزوجين وكيف يجب أن تكون فقال : «لاينزو أحدكم على امرأته كما ينزو العَيرْ »

ولكي تكون هذه العلاقة مبنية على الشوق والاندفاع قال رسول الله ﷺ : «أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العير» وقال : «يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد لعله يضاجعها من آخر يومه» . .

ويقول رسول الله ﷺ بوضوح أكثر لتكون العلاقة أشد وأقوى : «ثلاث من الجفاء . . ومنها أنْ يجامع الرجل زوجته ولايقبِّلها» . . .

إنه نظام متكامل لاشباع الغريزة كي لاتهدر وتضيع ، انه التوازن لتعريف الشهوة بين الذكر والانثى فلا جموح منه لغيرها ، ولا ميول منها لغيره ، فهو بحاجة اليها وهي بحاجة اليه ، وتزداد النشوة بينهما ليس في اللقاء الجنسي فقط بل في اتحاد المشاعر من الفة ومحبة وتعاطف ، هذه المشاعر حقائق نفسية يبحث عنها الطرفان ، ويعيشان معها منذ أن خلق الله الذكر والانثى . .

وبعد هذه الاطلالة على ماجاء به الاسلام لتحقيق الحياة الفاضلة ، واستمرارها ، أمايرعوي أولئك الذين أعطوا شهواتهم ماتصبو اليه ؟ أما حان للمرأة المسلمة أن تفقه لماذا وجدت غريزتها ؟ ولماذا خلقت ؟

انك أيتها المرأة جسر عبور للنفع والعطاء وللضرر والفساد ، فان تمسكت بدينك واسلامك وعدت إلى مثلك الفاضلة ، وايمانك بالله نفعت وقدمت للمجتمع أماناً واطمئناناً ضمن اسرتك وعشك الذي تبنيه مع زوجك . وان ابتعدت وأصبحت مع الشاردات ، شردت الاسرة وتفرقت وقُطِع حبل الالفة والمحبة ، وانتشر الخلل في كل زاوية من زوايا الاسرة الاسلامية .

ومهما يكن فأنت المرأة المسلمة التي لابد من عودتها لدينها وأخلاقها . وأنت الأم التي لابد لها من المحافظة على كيانها وشرفها فالعودَ العودَ والعودُ أحمد . .

معضلة الحب عند المرأة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لم نرَ للمتحابين مثل الزواج »

معضلة الحب عند المرأة

منذ أن خلق الله الانسان وضع فيه أحاسيس لاتتغير، وأحوال لاتتقلب، وحيث إن الحب من هذه الأحاسيس فهو عاطفة أصيلة في الكيان النفسي للانسان، لايمكن أن تزول إلا بزواله.

وهذه العاطفة تبنى عليها مايطلبه الانسان من تحقيق لرغباته، أو ابتعاد عما ينغصه، ونفور عما يبغضه وهذا داخل مع البغض، لان ميزان الأحاسيس متعادل في هذه التركيبات، الحب يقابله البغض أو الكره وهكذا. . . والحب بنوعيته الخاصة، إما يكون صفاء للنفس، وسمواً لها، وإما يعد إنزلاقاً في الملذات، وضياعاً في متاهات الشهوة. . .

فهو ذو حدين متضادين، حد يقبل الخير ويفعله، وحد يسعى للفساد، وينتهي في بؤرة الهبوط، ومن هذا الحد ظهرت معضلة الحب على مستوى الذكر والانثى، وخصصنا الانثى بالمعضلة لأنها هي الدافع الأول والأخير لبعد المعضلة وقربها ويكفينا بعد هذا الحديث أن ننظر نظرة سريعة على مجتمعنا الاسلامي الحاضر، وعلى ماكان عليه المجتمع من قبل، لمفهوم الحب فالتاريخ يشهد على ماحدث لهذا المفهوم من اخلاص بين الطرفين في ماضيه، ومن زيف وتستر في حاضره.

فكم نرى ونسمع من ويلات تحدث إثر حب أعمى بين

الجنسين، فضاع طهر المرأة، وضاع شرف الرجل، لأن ثوب العفة خلع عن هذا الحب، وألبس ثوب الرذيلة، وهذا النوع مما يجعل الطالب أن يصل إلى مراده فينال مبتغاه ثم ينتهي وهذا مما لا يسمى حباً، بل غريزة جنسية أراد أحدهما الوصول إليها من الآخر.

نعم: إذا وقع الحب، فلا مناص من انشغال الطرفين به، ولكن العفة تقف حاجزاً عن كل عوارض النفس وأهوائها، والعواطف ومافيها من جموح تشدها الخشية من الله، فإن لم يكن هذا، فستتقاذفهم العواصف القاتلة، والهيجان الجنوني، فلا مناص حينئذ من الوقوع في مشاكل لا تحمد عقباها.

فإذا كان الحب، وكانت العفة، خفت جذوة النظر، وأصبحت النظرة مليئة بالحياء والخجل، حتى الحديث بين الطرفين تتهذب كلماته ولا تخرج جزافاً، ولا وقع لها في هواجس النفس.

فأين هذه المثالية؟ يعيشها الشاب والفتاة في مجتمعنا المتحضر؟!

قد قطع الطرفان شوطاً بعيداً عن معنى ومفهوم المثالية، حتى أصبح الحب تجارة متداولة بينهما.

فالشباب انضووا تحت وطأة الغريزة الجنسية، وفقدوا كل مايصلحهم ويصلهم بمفهوم الحب النقي الذي لاتشوبه شائبة، فإذا نظر أحدهم إلى الفتاة، كانت نظرته من خلال ماتميل إليه غريزته ولم يتذكر قول الله تعالى: « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون » النور آية: « ٣٠ ». واعتبر النظر أمراً طبيعياً اعتاد عليه، وهو يخالف بهذا القول مايختلج بداخله، وهو ينظر إليها ويتفحص كل عضو ظهر منها فيكون كذاباً بما يدعي، وإن كان صادقاً بدعواه فمعنى ذلك أنه مريض بالبرود الجنسي فيجب عليه أن يبحث عن طبيب يعرض عليه حالته، فالحالتان أحلاهما مرٌّ، لذلك طلب منه غض البصر حتى لاينقلب النظر إلى سهم

قاتل يعيب لبه وعقله، وتهتاج بعد ذلك الغريزة الجنسية عنده، وهناك حديث رسول الله ﷺ يشير ويوضح معنى النظرات حينما قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: « ياعلي لاتتبع النظرة النظرة » والمقصود من قول رسول الله ﷺ هو أن النظرة الاولى هي نظرة الفجأة فلا اعتبار لها، لذلك طلب رسول الله من علي أن لايتبع هذه النظرة بنظرة اخرى حتى لايقع النظر على مايحرك الشهوة، وتلتهب الغريزة، فيختلف التوازن بعد ذلك، ثم يؤدي هذا إلى امور غير محمودة. والفتاة التي خرجت سافرة، وأظهرت مفاتنها، ولبست ثوب الرجولة، وخلعت ثوب الحياء، وأخذت تنظر إلى الشاب بعينين متوقدتين ملؤهما المكر والخديعة، والاغراء وتحرك الأهواء، أين هذه من قول الله تعالى؟:

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها.. » النور آية: « ٣١ ».

إنها تائهة لاتدري من دينها شيئاً، ولا تعلم ماهو اسلامها، تركت ذلك كله، وتابعت بنظراتها إلى الشاب، كي تجعله مهتماً بها، وبما تفعله بإظهار مفاتنها، وحينما يراها الشاب بهذه الصورة والحركة القاتلة سيندفع إليها إن لم يكن محجوباً بحجاب الايمان، وإن لم يندفع فهو يبحث على رؤية أكثر من ذلك، وفي هذه الحالة ستشعر الفتاة بنقص في كيانها الانثوي، لأنها ستحدث نفسها عن السبب الذي جعل الشاب يهملها ولا يهتم بما قدمته من اغراء...

ولا نريد أن يسوقنا الحديث إلى أبعاد مانحن بصدده لأن معضلة الجنس لها بحث قائم تكلمنا فيه.

ولكن لابد من الاشارة إلى الرابط الذي يربط الحب مع الجنس، وهذا الرابط له حقيقة واقعية علماً أن الحب أسمى بكثير من الاتصال الجنسي، ولا نقصد بأن الاتصال الجنسي رذيلة، بل هو نتيجة حتمية للمتحابين لقول النبي ﷺ « لم نر للمتحابين مثل الزواج » فالزواج هو

حل لمشكلة الحب بكل أشكالها وأنواعها، ونعني بذلك المتزوجين الذين ربما وقعوا في الحب، فليس لهم دواء إلا الزواج، أما إذا كان حبهم من تلك الأشكال التي نراها في مجتمعنا اليوم، فما على المتزوج إلا أن يسمع قول النبي ﷺ: « ان المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبته فليأت أهله، فإن ذلك يرد مافي نفسه ».

فيبعد بهذا الفعل وساوس الشيطان التي تؤدي لى الرذيلة، والسقوط في هاوية المنكرات.

وربما يقال: ماذا يفعل العازب إن لم يستطع الزواج؟ إننا نجد الجواب عند رسول الله ﷺ حينما قال: « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء » فدواء العازب الزواج، فإن لم يستطع فعليه بالصوم فهو حماية له ووقاية من كل رذيلة، ليس الصوم عن الطعام والشراب فقط، بل حماية الجوارح وحفظها وسموها عن كل الأهواء... وكذلك الفتاة إن لم ترجع إلى دينها، وتبعد عن نفسها ماعلق بها من آثام الرذيلة، فإنها ستبقى تائهة في ظلمات الفساد فالحب الصادق مبني على الاخلاص، ومخافة الله، فيجعل القلوب مطمئنة، ويزيد الألفة والمودة بين الطرفين مثلهما مثل قارب في بحر فأي خلل يحدثه أحدهما غرق القارب، وغرق من فيه.

فالعودة العودة أيتها الفتاة إلى دينك واسلامك، والرجوع الرجوع أيها الشاب إلى ايمانك وأنت أيتها المتزوجة اتق الله في زوجك، وإياك والخضوع لتيارات الحب الجارفة التي تقضي على كيانك وكيان اسرتك، فمن قمة الرذيلة أن تضيع المتزوجة بين شهواتها وأهوائها، حينما يرى ذلك من المتزوجين؟ فهذا هو الهدم الكامل للاسرة التي تخرّج أجيال المستقبل.

وفي نهاية القول: إن الحب يستمر بين الزوجين، ويعطي ثماراً يانعة، إذا كان خالياً من الخداع والزيف، ويبقى نوره مضيئاً في البيت، بيت الزوجية، الذي تفوح منه رائحة المودة والتفاهم، أما إذا تحول إلي صورة مشوه، وبني على اشباع الغريزة، فهو نار حارقة تأتي على كل شيء تجده أمامها.

فالحب مرآة الحبيبين ينظر إليها كل منهما للآخر، فيراها صورة صادقة، وبهذا الصدق يعم الاطمئنان النفسي قلبيهما وينعمان بتعاليم الاسلام، ويعيشان عيشة أمان وسلام...

معضلة زواج المرأة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الدنيا متاع ومن خير متاعها امرأة تعين زوجها على الآخرة: مسكينٌ مسكين رجل لا امرأة له مسكينة مسكينة امرأة لا زوج لها ».

معضلة زواج المرأة

أصبح الزواج معضلة تقوى جذورها وتمتد يوماً بعد يوم، وتزداد المعضلة شيوعاً أوسع من قبل وذلك لما وقع به عالمنا الاسلامي من تقليد أعمى للغرب والشرق من شبابنا وفتياتنا، ومن هذا التقليد التأخر بالزواج والابتعاد عنه حتى آخر العقد الثالث أو لمنتصف العقد الرابع من عمرهم، ظناً منهم أن الزواج المبكر له مضاره الاجتماعية. وكذلك الفتاة طمعت في التحصيل العلمي والزوج المتكامل، ففاتها القطار مسرعاً ـ كما يقال ـ هذه الحالة التي تأثرت فيها الفتاة من واقع ليس مألوفاً لديها من قبل، بل هو دخيل عليها وعلى الشاب المسلم لأن واقع الغرب والشرق يختلف كلياً عن واقع مجتمعنا المسلم، فالمرأة الغربية ليس لديها أي وزاع ديني أو أخلاقي يمنع من استمتاعها الجنسي الخالي

من الالتزامات الزوجية، لذلك فقد الشعور بالالتزام من الطرفين معاً وأما الفتاة المسلمة لايمكن لها أن تندفع هذا الاندفاع مهما وصفت بالتحرر إلا في حالة الانهيار الكامل لعقيدتها وحيائها، وأخذت الحالة هذه بالتفشي والاستمرار، فإذا استمرت في المجتمع المسلم فسوف تؤدي إلى نتائج وخيمة، ماعدا مشكلة تأخير الزواج لأنه مما يساعد على تكامل الانهيار، ويعطي سلبيات تعود على الذكر والانثى وبالتالي تعود

بالضرر على تكوين الاسرة،فمن الأضرار لهذه الظاهرة:

١ ـ تظهر مشكلة فارق السن بين الزوج والزوجة، فيعدم بذلك الانسجام في العقلية، مما يؤدي إلى خلل ملحوظ في التنظيم الاسري بينهما.

٢ ـ فقدان التلاقي النفسي والعاطفي بينهما لمامرا به من تجارب مرحلة العزوبة، فتؤثر هذه التجارب على سلوكهما كزوجين يبحثان عن الاستقرار.

٣ ـ وفي حالة ضياع الوازع الديني لايمكن للطرفين السير في طريق السعادة الزوجية وقد يصل بهما الأمر إلى عدم التفكير بهذا الارتباط، لأن الفتاة حينما تفقد الوازع الديني سوف يؤدي الفقدان إلى السقوط في الرذيلة، نتيجة للضغط الجنسي، فتبحث عن شاب تقضي معه مرادها، وتأخذ ماتريده من اللذة السهلة الخالية من كل الالتزامات الاسرية.

وقد وقف عائق آخر أمام الفتاة والشاب على حد سواء، عائق المادة القاتل الذي مال إليه المجتمع الاسلامي ميولاً قد يؤدي إلى خلل مخيف في كيانه ومثله، وبهذا العائق قويت فكرة الابتعاد عن الزواج وتأخيره.

فالفتاة أخذت تبحث مع أبويها عن رجل مناسب، ذي مال وعطاء، كثرت عنده براهج الدينا، فإن تحقق حلمها ونالت مرادها، تصطدم مباشرة بفارق السن، فإن لم يكن فبفارق الدين بين المحافظة والتحلل، فإن لم يكن فنظرته إلى اسرتها التي لم تنل المكانة التي هو فيها من مال وجاه، فإن لم يكن فسوف تصطدم بصويحباته، فهذه صديقة عمل، وهذه زميلة واخرى سكرتيرة، ورابعة. . . و. . .

وبتأخير الفتاة في الزواج يقف فارق السن حاجزاً مخيفاً بينها وبين خاطبها، لأن تقدم السن بها يذهب عنها رونقها ونضارتها وحيويتها،

وهذا معلوم لدى كل الجنس الانثوي، وبهذه الحالة تخضع لواقعها، وترضى بخاطبها، ولكن ماذا يحدث بينهما؟

ربما يكون التفاهم بينهما، إن كانت ذات عقيدة والتزام خلقي، وربما يكون الوباء الذي يحرفها عن الطريق السوي مهما كان الزوج غنياً، ومهما قدم لها من عطاء مادي، وهذه الحالة هي الطامة الكبرى التي تمزق المجتمع تمزيقاً قاتلاً وتكون الاسرة ضائعة تلعب بها عواصف الشهوات.

وقد تتظاهر المرأة بأنها تعوض بماله وجاهه مافقدته وتفقده من المتعةالجنسية، وهذا كذب واضح فإن لم يكن واضحاً، فهي تكذب على نفسها وكيانها حتى على شعورها الذي تحاول أن تخفيه.

فكم من فتيات وقعن في هذه الشباك، فأسرن في قفص مصنوع من ذهب، وحرمن من حرية العطاء السليم، وذلك بمافعلن.

وهناك الفتاة المؤمنة ذات العقيدة والالتزام الكلي بإسلامها، قد وقعت في حيرة من أمرها، فهي تحلم بالشاب المؤمن الطائع فإن وجدته فنعم الزواج والزوج، وإن لم تجده ونفذ صبرها، واغريت بما في الحياة من زخارف ضاعت وفقدت بعضاً من التزاماتها ارضاءً لزوجها الذي لم يرض بما هي عليه. ومن الفتيات من تقف صامدة أمام كل المغريات، وكل العواصف التي تحاول اقتلاعها من التزاماتها، تبقى محافظة على حلمها مهما طال بها الزمن، وتقلبت عليها الأحوال. . .

إذن: فالمادة لعبت دورها في مجتمعنا، واستولت على تفكير الرجل والمرأة، وسبب ذلك هو الانحراف نحو التقليد الأعمى لما يقدمه لنا الغرب والشرق من مغريات، وضعها عن قصد وتعمد كي يفكك مجتمعنا المتماسك، ويقضي على الاسرة الاسلامية والوالدية المؤمنة. وقد نجح فعلاً في ذلك، فأخذ مجتمعنا بالسقوط والانحراف نحو المادية،

فأصيب بعمى البصيرة وأسدل ستارا يتكاثف يوماً بعد يوم على عقيدته والتزامه الخلقي ، لذلك ظهرت لنا معضلات كثيرة نحن بغنى عنها لو كان التطبيق الاسلامي صحيحاً وسليماً في كل اسرة اسلامية ، وهذه الصور التي عرضناها جزء من ارشيف « المعضلات » مليء بالصور المغايرة للمجتمع المسلم.

وقد تكونت معضلات قبل الزواج ، لم يكن لها وجود من قبل كاختيار الزوج مثلاً .

فالاختيار أصبح معضلة حتى شكل هاجساً أيقظ المجتمع من شدة ألمه ، فالأم تختار والاب يختار والفتاة تختار ، وكل واحد منهم له رأي في الاختيار ، فربما يتفق الاب والفتاة ، وتختلف معهما الأم ، أو على العكس يكون ، أو تختار الفتاة بعيدة عن ارضاء والديها ، فترى لكل منهم وجهة نظر هو موليها ، الاب ينظر بمنظار المادة ليختار ، والأم تنظر بمنظار الجمال لتختار ، والفتاة تنظر بمنظار الثقافة والفكر لتختار ، وهات التوفيق لارضاء الأطراف المختلفة ، حالات متعددة أضاعت الفتاة ، حتى أصبحت معضلة الاختيار نصب عينها لماذا ؟

إنه البعد عن المفاهيم الاسلامية ، والقرب المميت للتقليد الغربي ، ظناً منهم أن ماوجدوه من قبل غير صالح اليوم ، وربما تكون هناك ثغرات في المجتمع الاسلامي ، ثغرات أوجدها الجهلاء بمفهوم الاسلام ، وبما قدمه للفتاة كي تصبح زوجة صالحة ، فأثرت هذه الثغرات على الذين ابتعدوا عن المفهوم الاسلامي ، واعتبروها حجة لهم . فضاعوا في خضم المتاهات المعاصرة .

وتفاقمت معضلة المهور ، ودوت في آذان علماء المسلمين وعلماء المجتمع ، فأخذوا يبحثون عن أسبابها ويقدمون نتائج مساوئها ، ثم يطالبون بالعودة إلى المثل والاخلاق الفاضلة ، ولكن ماذا يقدمون ؟

وقد وجدت المعضلة ؟ وتم ايجادها بأفعالنا ومن أسر مجتمعنا ، فوضعنا لها هالة عظيمة لابد من معالجتها ، وهي في واقع الامر ليست بمعضلة ، ولاتستحق كل الاهتمام الفكري ، لأن المهر ماهو إلا هدية يقدمها الزوج لزوجته تعبيراً عن محبته لها ، ورمزاً للتقارب بينهما فانقلبت هذه الصورة إلى بيع وشراء ، بحجة ضمان حقها واهتمامه بها ، ووضع قيود عليه كي لايفعل مايسيء إليها ومثيل هذه المعضلة معضلة الخطبة ، التي بعدت كثيراً عما يعلمه المسلم والمسلمة من تعاليم الاسلام الحنيف ، وتظهر بساطة هذه المعضلات وتلاشيها حينما نرجع إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وهذا الرجوع يجب أن يكون من قبل الآباء والامهات والشباب والفتيات ، رجوع لفهم ماجاء في كتاب الله وسنة نبيه من حلول صحيحة وسليمة تلامس حياتنا الاجتماعية ، فتحل ماوقعنا فيه ، والفهم الذي نقصده هو ازالة الغشاوة المحدثة من علائق الفوضى الدخيلة علينا ، فلما تُزال الغشاوة ويرجع كل فرد من أفراد المجتمع إلى صوابه ، ويذهب عنه عمى البصيرة ، حيئذ يقتنع قناعة لاشك فيها فيما أورده القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، لأن ماورد قد وُضِع ضمن اسس متينة ، وبناء متكامل الأطراف لاتَفَك منه لَبنة ، ولاتتغير فيه زاوية ، انطلق منذ البداية بجذور متينة كي لايتأثر أبَداً بالرياح العاتية والأمواج الهادرة .

فلنستمع إلى قول الله عز وجل متحدثاً عن الزواج ، ومعطياً الحكمة منه :

«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة . . . » الروم - آية «٢١» .

ففكرة الزواج هي استراحة النفس بالميل إلى الزواج ، وايجاد المحبة والرحمة بينهما ، فهل تبقى مشكلة اذا كان هذا المقصود من الشاب والفتاة ؟ لا ولن تكون مشكلة .

فعلى هذا الاساس تذاب اعتبارية المال التي أصبحت أساساً في الـزواج ليحـل محلهـا المودة والحنان بينهما ، والسكنى هي الاطمئنان المتكامل بين الطرفين لبعضهما ، انه اطمئنان قد خلا عن كل مكدرات التقاليد المحدثة ، انها سكنى وسكن روحان في جسدين جمعت بينهما المودة والرحمة .

وإلى قول الله سبحـانـه : «هنّ لبـاس لكم وأنتم لباس لهن» البقرة ـ ١٨٧ .

لبـاس : تكـامـل تام ووحـدة مكـونة بين ذاتين لتصبحا ذاتاً واحدة ، فلا نفور ولا اشكال ولا تفكير في أي انحراف أو طلاق ، إنه لباس مصنوع من المحبة والالفة ، ومحبوك بتقوى الله سبحانه ، فأصبح منيعاً لا تقتحمه مغريات الحياة ولاتؤثر فيه عواصف الضلال والزيغ .

وأمـا أقـوال النبي المصطفى ﷺ فهي كثيرة لا تحصى بما نحن فيه ، ولكن نورد ما تحدث به مبينـاً حق المرأة في الاختيار والزواج ، فاستمعي أيتها المرأة المسلمة لما قالت عائشة رضي الله عنها :

«دخلت عليَّ فتاة فقالت : إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع لي خسيسة ـ ليرفع من شأنه بها ـ وأنا كارهة . فقلت : اجلسي حتى يأتي رسول الله ، فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته . فأرسل إلى أبيها ، فدعاه فجعل الامر بيدها . فقالت المرأة : يارسول الله قد أجزت ماصنع أبي ، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الامر شيء» .

فالفتاة المؤمنة ، التي قد أصبحت عاقلة ، تختار من ترضى دينه وخلقـه ، تاركـة كل مايقـال عن مغـريات الحياة وتقـاليد المجتمـع الحديث ، وبذلك تكون مطبقة لقول رسول الله ﷺ : «اذا أتاكم من

ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لم تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير» . ولقوله لأحد الصحابة : «التمس ولو خاتماً من حديد» . فهذه الحرية التي أعطاها النبي ﷺ لكل امرأة مسلمة تستعمل بها فيها من حقوق ضمن حدود الشرع ومبادئه وبمنظار اسلامي واضح الرؤية .

وقد يحدث أن رأي الوالد في هذا الشاب سديد من حيث الدين والخلق ، ولاترى الفتاة ذلك ، عندئذ يجب عليها اتباع رأي والدها وتنفيذ مايراه كفؤاً لها ، وعلى العكس إن كانت متأكدة من سلامة دينه وخلقه ، ولم يعط الوالد الرأي السديد فيه ، فلها الحق في ذلك بلا ريب ، لذلك نسمع قول النبي ﷺ : «لاتنكح الايم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن . فقال الصحابة يارسول الله وكيف اذنها ؟ قال : أن تسكت .

فالسكوت اقرار لها ، اذا علمت أن اختيار أبيها صحيحٌ غير مخالف للشرع ، فلاحاجة إذن إلى كل مايحدث في مجتمعنا من تعقيد واشكال لمراحل الزواج .

فالاسرة المسلمة حينما تكون مرتبطة بعقيدتها ، تنفذ توجيه الاسلام بقناعة ورضاء ، وأما اذا لم تكن متمسكة فلا بد من اهتزاز البناء الاسري منذ بدايته فكيف تكون نهايته ؟؟ . .

وقبل أن نطوي هذا البحث لابد من أن نتذكر قول الله سبحانه وتعالى مخاطباً الشاب والفتاة بقوله : «وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله» النور ـ ٣٣ .

والعفة مطلوبة من الطرفين وهي صفة من صفات المسلمين وحاسة يتسم بها كل مؤمن ، ولكن اذا فقدت العفة ، فسيحل محلها الانحراف والانحلال من الطرفين ، ويسقطان في دوامة الملذات القاتلة فالفتاة العفيفة سيغنيها الله سبحانة بزوج صالح يبعدها عن

المحرمات ، ويجعلها غنية به ، وكـذلك الشاب الذي عفت نفسه على اتباع الشهوات سيغنيه الله بالزوجة الصالحة التي تملأ عليه حياته سعادة وطمأنينة واننا ندعو كل شاب وفتاة فيهما منبت ديني أن يعودا إلى دينهما واسلامهما ، فالعودة كفيلة بالقضاء على كل معضلات الزواج ، هذه المعضلات التي أخذت بحوثاً كثيرة واهتمامات متزايدة ، ولكنها لم تعط النتاج المطلوب لأن فقدان التطبيق لايعيد ماترك ، ولاينهي ماحل من فساد ، فبالعودة للتطبيق من الشاب والفتاة تتكون الاسرة السعيدة ، ويصبح المجتمع سليماً معافى من كل مشاكل الحياة ومكدراتها . . .

تعدد الزوجات

قال رســـول الــله صلى الله عليه وسلم: « من كانت عنــده امرأتان، . فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » رواه الحاكم

تعدد الزوجات

سنتحدث في هذا البحث حديث المختصر المفيد ، لكونه تابعاً للبحث السابق ، وذا سعة وتشعب .

فلو نظرنا نظرة تاريخية إلى تعدد الزوجات قبل الاسلام لوجدنا أن التعـدد كان مباحاً عند الاسرائيليين بغير تحديد مثل عصر سيدنا موسى عليه السلام ، وحينما أرسل استمر التعدد وبقي منتشراً بينهم إلى أن جاء عهد حدد فيه التعدد بأربع شريطة أن يكون الزوج قادراً على الانفاق كما جاء في «تلمود أورشليم» .

وكـانت ديانة الفرس تمنح جائزة تشجيعية لمن يتزوج أكثر من واحدة ، وأما اليونانيون القدماء فلم يسمحوا للرجل أن يتزوج أكثر من واحـدة ، وسمحوا للمرأة أن تتزوج أكثر من واحد لكونها مهانة يحق لزوجها أن يبيعها متى شاء .

كما وأن الفينيقيين منعوا تعدد الزوجات واعتبروه أمراً قذراً على عكس أجزاء متفرقة من أوروبة القديمة وآسيا الغربية اذ كان التعدد منتشراً بينهم .

وأما الرومان فلم يكن التعدد مشروعاً ولكن الرجل كان يتخذ أكثـر من صاحبة وخليلة ، وبعد مجيء سيدنا عيسى عليه السلام انتشر التعدد ولم يمنعه ، واستمر بعد ذلك إلى أن وضع قانون تحديد

الزواج بامرأة واحدة وهو «جستنيان» . وأصبح هذا القانون نافذاً في العصر الحديث ويعاقب كل من يتزوج أكثر من واحدة .

وكذلك العرب في جاهليتهم كان التعدد عندهم مباحاً وليس له حدود معينة .

هذه نظرة عامة عن واقع المجتمع البشري قبل الاسلام فبماذا جاء الاسلام ؟

إن الاسـلام نظم تلك الفوضى وحددها ، ولم يقبل بالقوانين الموضوعة التي حرّمت على الرجل أن يتزوج أكثر من واحدة بل وضع الحل العادل كي يبقى ميزان الحياة الزوجية معتدلاً بلا رجحان كفة .

يقـول الله سبحـانه تعالى : «فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثـلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة وما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا» النساء ـ ٣ .

فأباح للرجل أن يتزوج أربع نسوة، اثنين اثنين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً، بلازيادة على ذلك، والأربع مشروطة بالعدل فإن خاف الرجل أن لايعـدل فواحدة، والعدل المقصود بالآية الكريمة كل مايتعلق من حقوق على الزوج تجاه زوجاته، من مأكل وملبس وحب وعطف . .

والزوج بشر فقد لايستطيع تنفيذ العدل المطلوب منه بين زوجاته لذلك قال الله سبحانه وتعالى :

«ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء . .» النساء ـ ١٢٩ ـ علماً أنه بين في الآية السابقة «فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة» فجاءت الآية الأخيرة تؤكد عدم العدل من قبل الزوج إلا من كان عادلاً حقاً في جميع الحقوق المترتبة عليه . وهذا قليل في مجتمعنا الاسلامي .

وحكمة الاسلام في التعدد هي حصره في أربع لما له من منافع

إن كان مبنياً على العدل والمساواة بين الزوجات وله مضاره إن فقد العدل وحلّ محله الجور ، لذلك جاء التأكيد «ولن تستطيعوا» . .

وهناك حالات أوجب فيها الاسلام للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة بأن تكون زوجته مريضة أو عقيماً أو كان ذا شغف يخاف على نفسه من اتباع الحرام والطرق الغير مشروعة . .

وهكـذا نظم الاسـلام الزواج وتعدده ، فمن يريد التأكد من تشريعاته فليرجع إلى كتاب الله سبحانه وسنة نبيه المطهرة .

والاسلام حكيم في آرائه صالح لكل عصر ولكل مجتمع ، وخبير بالنفـوس البشرية ، فحدد تعدد الزوجات وجعل له أسساً ثابتة كي لاتـدب الفـوضى في الحياة الإجتماعية ، ومقابل هذا التحديد وضع الاسلام الطلاق كي يكون نافذة لمن لم يستطع أن يتابع مسيرة الحياة في بيت الزوجية وقطع الامل في استمرارها . . .

ولاننسى أن نسجل قبل نهاية هذا البحث التحذير من الصور البشعـة التي ينقلهـا أصحـاب الغنى والشهـوات الى أعداء الاسلام والايمان ، فيثبت عنـد الغـربيين الذين يحاولون تشويه الاسلام بكل ما يستطيعون فكر ضال ومنحرف عن حقيقة الاسلام من جرّاء أولئك الـذين أسـاؤوا لهذا الدين بسلوكهم وتصرفاتهم وأخلاقهم ولو طالع أولئـك المتشـدقون القرآن والسنة ومناهج التشريع الاسلامي لوجدوا خلاف مانقـل إليهم ولـوجـدوا أن الاسلام هو دين الحياة ، والمنظم للزواج وللاسرة المؤمنة ، والموصل الحق إلى كل ذي حق .

معضلة تحديد النسل

قال الله تعالى: «لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير»

الشورى: «٤٩، ٥٠».

وقال الله تعالى: «أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقْدر إنَّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» الروم: «٣٧».

معضلة تحديد النسل

أصبح تحديد النسل في عصرنا معضلة يواجهها الرجل والمرأة معاً، ولو تتبعنا جذورها ومنشأها، لوجدناها ظهرت من لاشيء، وأحدثت في مجتمعنا إحداثاً لالزوم له مطلقاً، ولكن ضعف الكيان الاجتماعي سمح لكل شيء لاقيمة له بالتواجد والاهتمام، مع اظهاره على حيز الوجود، وقد نجح مروجو هذه المعضلة بإيجادها في مجتمعنا، وأخذت قسطاً من الوقت عند مفكرينا، والسبب في ذلك يعود إلى الدعاية الاعلامية، التي وضعتها الصهيونية بمساعدة من أمريكا موجهة إلى الوطن العربي والاسلامي على وجه الخصوص.

إذن فبذور هذه المعضلة انشئت وربيت في بيوت الصهيونية ثم زينت وبهرجت بهرجة أمريكية، ثم زرعت في مجتمعنا حتى تصبح معضلة حقيقية في واقعنا.

ولكننا لو أنعمنا النظر في هذه المعضلة، لوجدناها محلولة في أيسر الحلول، إذا مافتحنا كتاب الله سبحانه وتعالى، وتدارسنا أقوال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فحكينا تطالع هذه التوجيهات الالهية، والحكم النبوية فلا ولن تبقى لدينامعضلة، حتى ولا نحتاج للنظر في أبعادها وأسبابها.

وقبـل أن نورد الآيات الكـريمة والأحاديث النبوية، يجب أن نفرق بين تحديد النسل وتنظيمه وبين منع الحمل وقطعه. لأن منع الحمل فيه حالات متعددة الأحكام، فمما لايحبذه الاسلام قطع الولد وعدم الخلـف، وذلك لقوله ﷺ :

« تنـاكحـو تناسلوا تكثروا، فإني مباه بكم الامم يوم القيامة » وقوله ﷺ : « تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثر بكم الامم ».

أما تنظيم النسل فهو أمر مباح إن كانت المرأة في ظروف معينة تجبرها على هذا التنظيم، وسيأتي الحديث عن العزل ومايتعلق بذلك.

وأما ماورد في القرآن الكريم، فالآيات كثيرة، ومتعددة الجوانب والمقاصد، فمنها ماتحث على السعي لأجل الأولاد وبيان الرزق أنه بيد الله سبحانه، ومنها ماتنهى عن قتل الأولاد خشية الفقر والجوع.

قال الله تعـالى: « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم.. » الانعام آية : ١٥١.

وقال: « ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأً كبيراً » الاسراء آية ٣١

وقد يعطي القتل في هذه الآية معنى منع الحمل إذا كان مؤدياً إلى اجهـاض أو عقم، لأن فعـل ذلك محرم، ويزداد تحريماً إن كان المقصـود منه الخوف من الفقر، وتفسر الآية هذه بقوله تعالى: « وقد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم، وحرموا مارزقهم الله افتراءً على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين » الأنعام آية : ١٤٠.

وقد ظهر جلياً بلا مناقشة مايسعى إليه الغرب والشرق من تنفيذ منـع الحمل في المجتمع المسلم عامة، بحجة التقليل من النسل كي لاتكـون هنـاك فاقة اجتماعية، وتعداد سكاني مفرط، ونراهم ـ شرقاً

وغـربـاً ـ لا يبثـون أي دعـابة لمنع الحمل، بل يقدمون كل الوسائل للانجاب حتى عزابهم الأمر إلى عملية « طفل الأنابيب ».

والمسلم والمسلمـة يؤمنان بأن الله هو الرزاق الكريم، قال الله تعالى: « وفي السماء رزقكم وماتوعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ماأنكم تنطقون » الذاريات آية : ٢٢ ـ ٢٣.

وأما قوله تعالى: « هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم » آل عمران آية : ٦ ».

فهذا مما لاطاقة لنا به، فإيجاد الجنين وتصويره بيد الله سبحانه وتعالى، سواء كان المنع موجوداً أم لا، فهناك حوادث كثيرة، وحالات متعددة ظهرت في مجتمعنا بأن أخذت المرأة موانع حمل متعددة ثم تفاجأ بالحمل، وهذا مابيّنه رسول الله ﷺ بقوله: « عن أبي سعيد قال: قالت اليهود: العزل الموؤدة الصغرى. فقال النبي ﷺ : « كذبت يهود إن الله عز وجـل لو أراد أن يخلق شيئـاً لم يستطع أحد أن يصرفه » نيل الأوطار ٦/٢٠٨.

وقـد حدث اختلاف بين علماء الفقه في معنى هذا الحديث، فمنهم من أجاز العزل مستدلاً به، ومنهم لم يجزه مستدلاً بحديث آخر أورده كتاب « نيل الأوطـار » ونفضي إلى القـول: بأن العزل إن كان بالموافقة من الزوجة فلا مانع لما ورد عن النبي ﷺ أنه « نهى أن يعزل عن الحرة إلا بإذنها »

وهناك حالات يجوز فيها العزل، كمرض أصيبت به المرأة، أو محافظة على صحة الولد من الغيلة، وقد أجاز الامام الغزالي العزل إذا أراد الزوج الحفاظ على جمال زوجته كي لايحدث نفور منه نحوها.

ونورد حديثاً آخر رواه الامام أحمد والامام مسلم عن أسامة بن زيد قال: إن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني أعزل عن امرأتي. قال

له النبي صلى الله عليه وسلم: لم تفعل ذلك؟ فقال الرجل: أشفق على ولدها - أولادها - فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لو كان ضاراً ضر فارس والروم. »

فقد أقر النبي ﷺ فعل الرجل كي لايكون هناك ضرر على زوجته وابنه الذي مازال صغيراً.

وكذلك يعطينا الحديث معنى آخر وهو أن لاتعزل وأكثر من الولد فلو كان الاكثار ضاراً لضر فارس والروم وهذا ماكان واقعنا في العهد الاسلامي الأول، إذ كانت أعداد جيوش الفرس والروم تفوق أعداد جيوش المسلمين بنسب هائلة، ويقول ﷺ « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم » فتحديد النسل الذي اثير في عصرنا مرافقاً بمنع الحمل خوفاً على الأولاد من الفقر لايجوز أبداً لأن رزقهم على الله، وماورد من أحاديث تدل على المنع خوفاً من الفقر كلها غير صحيحة، ونضرب مثالاً واحداً من هذه الأحاديث.

ورد أن النبي ﷺ قال: « جهد البلاء كثرة العيال مع قلة الشيء » وهذا كلام مخالف لما ورد من آيات تنص على الرزق والسعي من أجله. فهذا الحديث أورده داود بن المحبر في مسنده، وقد أثبت أهل الحديث كذب داوود وتحدث عن ذلك محمد بن أحمد الدولابي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ في كتابه « الذرية الطاهرة، فمن أراد المزيد فليراجعه.

فحب الأولاد وكثرة النسل فطرة فطرها الله ووضعها في قلوب البشر قال الله تعالى: « زُيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين.. » آل عمران آية: ١٤.

وقال تعالى: « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون » النحل آية: ٧٢.

وأخرج الامام مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة قد بكر يسعى فقالوا: ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ لاتقولوا هذا: فإنه إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبويه شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان». وكما أسلفت أعيد: بأن هذه المعضلة لم تكن معضلة في واقع مجتمعنا المسلم، ولم يفكر بها أحد من قبل وبخاصة حول ماتعطيه المعضلة من أبعاد اقتصادية.

فالمسلم والمسلمة لايفكران أبداً في تقدير الرزق وتحديده كما لايفكران في تحديد النسل ومنعه من منطلق عقيم لافائدة منه.

فالمرأة المسلمة، تؤمن بقدر الله وماقسم لها من نسل ورزق لأنها تقرأ مع زوجها قول الله تعالى:

«« فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدراراً. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا» نوح آية ١٠ ـ ١١ ـ ١٢.

والرجل المسلم يقرأ قول الله سبحانه: «.. وإن خفتم عيْلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن الله عليم حكيم» التوبة ٢٨ فالايمان بالله وتقواه يجعلان المرأة المسلمة تعيش حياتها باطمئنان وأمان غير مكدرة العيش، غير مفكرة بفقر أو جوع موقنة أن الرزق بيد الله فتوكلت عليه حق الاتكال..

قال الله تعالى: إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر..» الاسراء آية: ٣٠.

فما على الزوج والزوجة إلا أن يرجعا إلى كتاب الله وسنة رسوله ويطبقا ماورد فيهما لسعادتهما فينالان خيري الدنيا والآخرة.

معضلة طلاق المرأة

قال الله تعالى: « ياأيها النبي إذا طلّقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم ولا تُخرجوهُن من بيوتهن ولا يخرجنَ إلا أن يأتين بفاحشة مبّينة وتلك حدود الله ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً »

الطلاق: «١».

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لا يَفْـرَكْ ـ يبغض ـ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر».

رواه مسلم.

معضلة طلاق المرأة

كذب الزاعمون الذين زعموا أن الاسلام هو الذي أوجد الطلاق وأحله، وترك الرجل يفعل كما يشاء مع زوجته، فقيدها به رجعنها خاضعة له كي لا يطلقها متى أراد ولأي سبب من الأسباب.

ألم يطّلع هؤلاء المفترون على ما ورد في الكتب المقدسة قبل الاسلام، من ذكر الطلاق واباحته حين تتوفر شروطه ؟!

لنقرأ في العهد القديم في سفر التثنية، الاصحاح الرابع والعشرين « ١ ـ ٤ » :

« إذا أخذ الرجل امرأة وتزوجها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه يكره فيها شيئاً معيباً، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأخرجها، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر، فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها، وأخرجها من بيته، أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها زوجة له، لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصير زوجة بعد أن تنجست، لأن ذلك رجس لدى الرب فلا تجلب خطية على الأرض التي يعطيك الرب الهك نصيباً » .

وقد ورد في انجيل متّى من العهد الجديد في الاصحاح الخامس (٣١ ـ ٣٢) ما يأتي :

« وقيل : من طلّق امرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني » .

ونكتفي بما أوردناه لأن الكتب المقدسة مليئة بهذا الموضوع، حتى أن القوانين العبرية القديمة كانت تجعل سلطة الطلاق بيد الرجل، ولم

تسمح للمرأة أن تطلب الطلاق من زوجها بأي حال من الأحوال . .

فهؤلاء المفترون يحاولون دائماً أن ينقصوا من الاسلام والاسلام كان وما زال مثلاً للانسانية والعدالة يحتذى به ، فحينما أجاز الطلاق وأحلّه ، وضع لحلّه وجوازه مراحل معينة ،فعند استمرار النزاع وصعوبة الألفة بين الزوجين ، وسعة شقة الخلاف بينهما ، ثم استحالة الحياة السعيدة الهادئة بينهما ، عندئذ يلجآن الى الطلاق .

فبماذا تحدث الاسلام عن الطلاق ، وما هي الأسس التي وضعها له ، وحدوده التي رسمها ؟

لننظر الى ما ورد في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ :

قبل كل شيء لابد من القول : إن الاسلام يبغض الطلاق وينفر عنه ، وبالمقابل يحث على الزواج واستمرار العلاقة الزوجية ، فقد قال الله تعالى في سورة الروم -٢١- « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » وقال في سورة البقرة -١٨٧- « هنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهنَّ » .

ولنستعرض الآيات التي تحث الزوج على استمرار العلاقة الطيبة مع الزوجة وعدم اللجوء الى الطلاق :

١ - قال الله تعالى في سورةالنساء -١٩- « وعاشروهنَّ بالمعروف فإن كرهتموهنَّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

٢ - وقال في سورة النساء -٣٤- « واللاتي تخافون نشوزهنَّ فعظوهنَّ واهجروهنَّ في المضاجع واضربوهنَّ فإن أطعنكم فلا تبتغوا عليهنَّ سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً » .

هاتان الآيتان فيهما العلاج لكل مرض يظهر للزوج من زوجته ، فلو كرهها من أفعال تقوم بها غير مخالفة لله ورسوله ولا مخلة بشرفه وشرفها ، ولا مؤثرة في تربية أولادها ، وأراد تركها ، طلب الله سبحانه منه

ابقـاءهـا فربما يكون ما يكرهه منها فيه الخير الكثير، لما سيحدث في الأسرة بعد طلاقها، وقد يكون زواجه بغيرها ضرراً يعود على أولاده، فحفـاظـاً على الأسرة، ومنعـاً لكـل أذى يصيب البيت كان الـرجاء بالمحافظة عليها وعدم التفريط بها .

وفي الآية الثانية : حينما يخاف الزوج من نشوز امرأته أمره الله سبحانه أن يبدأ في اسلوب الموعظة، فيقدم لها النصائح ، ويبين لها ما سيحدث بعد افتراقهما، من تمزق بيت الأسرة وضياع للأطفال، فإن لم تقنع بذلك استعمل الأسلوب الثاني وهو الهجر في المضجع ، فلا يقربها ولا يمس جسده جسدها، حتى يبرهن لها أن الأمر استفحل، فإن لم تلن وتمتثل للطاعة ضربها، ولكن الضرب غير مبرح ولا مؤذ، حتى لا يخالف القـواعد الاسلامية، فلا يضرب الوجه، ولا يقسى بالضرب الذي يدل على الحقد والضغينة، فبذلك يكون مطبقاً لقول النبي ﷺ « رفقـاً بالقـوارير ». وقـولـه : « استوصوا بالنساء خيراً » وقوله : « ما أكرمهنّ إلا كريم وما أهانهنّ إلا لئيم » فإن ثابت الى رشدها وصلحت حالها، فلا يحق للزوج أن يبغي عليها كاتباعه طرقاً أخرى تخالف ما بيّنه الله سبحانه وتعالى له، وإن لم تطع فلابد من الانتقال الى مرحلة ثانية التي نص عليها القرآن الكريم قال الله تعالى في سورة النساء ـ٣٥ـ : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً » .

هذه هي عدالة الاسلام، وهذا المفهوم السليم للطلاق، فقد أعطى للطرفين حق الحياة الهادئة التي يصبو اليها كلاهما فوضع المعالم التي بها تحفظ كرامة المرأة عند زوجها، وجعل لها اعتباراً وكياناً لم تحظ به امـرأة من قبـل ولا من بعـد ففي حالة عدم التفاهم بينهما انتقلا الى التحكيم من أهله وأهلهـا، إنها لجنة ضمن نطاق الأسرة ولكن على أوسـع وأعـدل، كي يظهر الحق ويبطل الباطل، فإذا أرادا اصلاحاً

يوفقهما الله ويؤلف بينهما، والله أعلم بما في صدورهما فإن لم يصلا الى الاصلاح من خلال تحكيم هذه اللجنة عندئذ يكون الفصل بينهما، ولكنه فصل مؤقت ليدخل المرحلة التالية التي قال الله سبحانه وتعالى عنها: « وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم والمطلقات يتربصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء ولا يحل لهنّ أن يكتُمْنَ ما خلق الله في أرحامهنّ إن كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر وبعولتهنّ أحق بردهنّ في ذلك إن أرادوا إصلاحاً . . » البقرة -٢٢٧ - ٢٢٨- .

وقال سبحانه : « وإذا طلّقتم النساء فبلغن أجلهنّ فامسكوهنّ بمعروف أو سرحوهنّ بمعروف ولا تمسكوهنّ ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزواً واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أنّ الله بكل شيء عليم. وإذا طلّقتم النساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهنّ إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به ومن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لاتعلمون » البقرة -٢٣١ - ٢٣٢- .

فهل هناك قانون حفظ حقوق الحياة الزوجية كالقانون الالهي، وهل هناك تشريع وضع للزوجين حرية القبول والاستمرار أو الرفض كما شرع الله ؟؟!!

إنه العليم الحكيم يعلم ما يصلح به خلقه، وما ينفعهم في الحياة الدنيا والآخرة .

أما نلاحظ من الآيات الحكيمة أنّ الله سبحانه حثّ في كل آية وطلب من الزوجين الرجوع الى الاصلاح والمحافظة على الاسرة السعيدة؟؟ كل ذلك كي لاتهدم أواصر الأسرة، ولا تضيع المودة بينهما فلم يترك الاسلام الرجل على أهوائه وشهواته كي يطلّق متى شاء، ولم يسمح للمرأة أن تهدم البيت السعيد بمعول أهوائها وشهواتها، وتترك

زوجها وأطفالها، لذلك كان الطلاق ضمن المراحل التي ذكرناها كي يكونا على مهلة من التفكير حينما أقدما على هذا الفراق، ومن الحكمة الالهية أن جعل التربص في بيت الزوج لمدة ثلاثة شهور ـ حيضات ـ فربما يحدث اصلاح بينهما، وربما يميل اليها أو تميل اليه فيتراجعان عمّا أقدما عليه، وما يحدث في مجتمعنا الاسلامي فيه المخالفة البغيضة لما ورد في كتاب الله، فنرى الرجل يطلّق بلا انتظار وترى المرأة تطلب الطلاق وكأنها أسيرة تريد أن تفك من سجنها، لذلك نرى صورة الطلاق مشوهة شوّهها الرجال والنساء الذين لم يفهموا ما جاء به الاسلام ولم يحافظوا على نظام حياتهم الأسري، فلو كان مفهوم الطلاق عند الرجل والمرأة مطبقاً كما في كتاب الله لما حدث ما حدث . . .

فإن حدث الطلاق ووقع فلا يقسو أحدهما على الآخر بمطالبه، فإن كانت المرأة كارهة له فعليها تقديم حقه، كما حدث في عهد رسول الله ﷺ أن امرأة كرهت زوجها فطلبت منه الطلاق فقال النبي ﷺ: « ردّي عليه ضيعته ».

وكذلك الرجل إن كره زوجته وأصرّ على طلاقها فيجب عليه أن لا يضيع حقها قال الله تعالى في سورة النساء ـ١٩ـ: « . . . ولا تعضلوهنّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ . . » .

ويبين لنا رسول الله ﷺ كره الطلاق حفاظاً على بيت الزوجية فيقول: « لعن الله كل مزواج مطلاق ».

وقال: « تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز له العرش » وقال « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »

فالطلاق إن اريد به اصلاحاً للاسرة فبه ونعم، وإن لم يكن مبنياً على أسباب مقبولة لم يرضها الشرع فهو طلاق يعود على المجتمع بمساوىء كثيرة . . .

ونتنقل إلى صورة اخرى يكون فيها الزوج ناشزاً ومعرضاً عن زوجته، وهي مثالية في تعاملها معه، مطيعة له لم تقصر في كل واجباتها تجاهه وتجاه أولادها، فما هو الحل؟

الحل في قول الله سبحانه وتعالى: « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير. . » النساء ـ١٢٨ ـ.

فيطالب الزوج بحسن معاشرتها، واصلاح شأنه معها كي تتابع معه حياة سعيدة، ولنا مثال على هذه الحالة من الحياة الواقعية، حدثت في عهد رسول الله ﷺ مع امرأة مسلمة هي خولة بنت ثعلبة بن مالك الخزرجية وكان زوجها أوس بن الصامت، الذي بلغ من العمر عتياً، وأصبح شيخاً هرماً، قد ساء خلقه، واختلفت عليه حاله فدخل عليها يوماً فراجعته بشيء فغضب وقال: أنتِ عليّ كظهر أمي ـ وكان الرجل في الجاهلية إذا قال ذلك لامرأته حرمت عليه وكان هذا أول ظهار في الاسلام، فندم من ساعته فأبت وقالت: والذي نفس خولة بيده لاتصل إليّ وقد قلت ماقلت حتى يحكم الله ورسوله بيننا.

فأتت رسول الله ﷺ وقالت: يارسول الله: إن أوساً تزوجني وأنا شابه مرغوب فيّ فحينما خلى سني ونثرت بطني ـ أي كثر ولدي ـ جعلني عليه كأمه، وتركني إلى غير أحد، فإن كنت تجد لي رخصة يارسول الله تنعشني بها وإياه فحدثني بها. فقال لها رسول الله ﷺ: « والله ماأمرت في شأنك بشيء حتى الآن » فأخذت تدعو الله وتقول: أشكو إلى الله تعالى فاقتي وشدة حالي، وإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا. . . اللهم إني أشكو إليك اللهم فأنزل على لسان نبيك. . ومابرحت حتى نزل القرآن فيها، فقال رسول الله ﷺ: « ياخولة أبشري فقالت: خيراً؟ فقرأ

رسول الله عليها قول الله تعالى: « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير. الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم إن امهاتهم إلا اللاتي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعفو غفور. والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير. فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم » المجادلة ١ ـ ٤ .

إنها خولة المرأة المسلمة التي آمنت بالله رباً وبمحمد رسولاً، مليء قلبها ايماناً وتقى، وعاشت عيشة الصالحات القانتات العابدات الحافظات لفروجهن، المحافظات على كيان الاسرة، امرأة مسلمة نزلت بحقها آيات حكيمة مازالت تتلى وستتلى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وخولة هذه لقيت عمر بن الخطاب حينما أصبح أمير المؤمنين، لقيته وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها، ووضع يده على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجال قريش على هذه العجوز! ! فقال عمر: ويحك أتدري من هذه؟ قال الرجل لا فقال عمر: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف حتى أتى الليل ماانصرفت حتى تقضي حاجتها ـ تفسير روح المعاني للألوسي ٢٨ ـ ٢ ـ ٣ ـ بتصرف.

هذا هو الاسلام الذي رفع من شأن المرأة المسلمة، فتحدث عنها القرآن حينما اصيبت بمكروه، أما حري بكل امرأة مسلمة في عصر

التمدن والرقي أن تعود إلى خالقها فيسمع شكواها، ويرى ماهي عليه، وأن تتبع الطريق المستقيم الذي اختاره الله لها؟..

فلو كان الزوج متفهماً لدينه، متفهماً لمعنى الطلاق ومايؤدي إليه، لما حدث أي خلاف مع زوجته، وكذلك المرأة لو كانت على مستوى الفهم الصحيح لما عليها من حقوق وواجبات تجاه زوجها وبيتها لما ملئت المحاكم في عصرنا بالأزواج والزوجات مطالبين بالطلاق،

فالطلاق أصبح مشكلة اجتماعية زعزعت كيان المجتمع، ودبت الفوضى في بنيان الاسرة، فكل يوم يمر نشاهد صوراً سيئة تحدث من عدم فهم المسلمين للطلاق، وهذا مما أدى إلى تشويه الصورة السليمة لديننا الحنيف فهناك الكثيرون ينظرون إلى مانحن عليه نظرة استغراب أهذا مايأمرنا به ديننا؟ أهذه تعاليم اسلامنا؟! ونحن في الواقع أصحاب المشكلة ونحن الذين أوجدنا المعضلات فالاسلام وضع كل الاسس والمعالم لدرء أي مفسدة تعبث في بيت الاسرة المسلمة.

فليس الطلاق بالأمر السهل كما يتصوره الرجل والمرأة، إنه هدم لكيان المجتمع ولا يمكن أن يكون سهلاً إلا بأشد حالات السوء بين الزوجين، وأحلك الظروف التي يحكم من خلالها على الزوجين بعدم صلاح استمرار حياتهما فيا أيتها المرأة المسلمة: إياك والفهم الخطأ لاسلامك وعقيدتك أنك رخيصة مبتذلة يتصرف بك الزوج على حسب أهوائه وملذاته، لابل أنت المرأة ذات الشأن والكرامة عند الله وعند زوجك الذي آمن بالله ورسوله

ويا أيها الزوج المسلم: اتق الله في أهلك ولا تتبع وساوس الشيطان فإن اتبعتها ضعت وعاد الاتباع عليك بالحسرة والندامة، فحافظ على أمانة الله وعهده كي تبقى دائماً الزوج المخلص والأب الرؤوف الرحيم...

معضلة الخلل عند المرأة

قال الله تعالى: « ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم ويدخلَكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لايُخزي الله النبيَّ والذين آمنوا معه نورُهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير » التحريم: «٨»

معضلة الخلل عند المرأة

من خلال ماقدمناه من معضلات وحلول لها نجد أن المرأة هي العنصر الفعال في بناء الاسرة، والقاعدة الأساسية التي يبنى عليها جدران المجتمع، إنها المرأة التي إن فسدت فسد المجتمع، وإن صلحت صلح المجتمع، ومجتمعنا الاسلامي لم يتعرض لأي خلل في كيانه إلا بعد أن فسدت المرأة بفساد الذين هوّنوا عليها كرامتها، وأعطوها نوراً مزيفاً يشع لها فحسبته نافعاً وهو نار تحترق فيه وتحرق معها نصف المجتمع إن لم نقل كله.

لأن الرجل مهما حاول بث بذور الفساد لايصل إلى ثمرة جهده إلا حينما تستجيب إليه المرأة، وتميل إلى مايدعو إليه.

وحديث رسول الله ﷺ يبين لنا دور المرأة في افساد المجتمع، وماتفعله من فتن تقضي على الأخلاق، وتشيع الفرقة والبغضاء فيقول: « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة كانت في بني اسرائيل كانت في النساء ».

أجل: إنها فتنة قاتلة إن لم تربَ التربية السليمة، إنها مدمرة للشعوب إن لم تعهد بالرعاية الروحية والخلقية.

فهي ازدواجية في كيانها ونفسها، فتراها وردة تتفتح تفوح رائحتها

في كل مكـان، وتجـدهـا شوكة سامة تقتل ماحولها، ومن يقترب منها قاصداً الملامسة أو المداعبة.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا النساء » هو أن تكون لها وقاية من الفساد، ووقايتها إيمانها وتمسكها بعقيدتها مع رعاية تامة من راعيها حينئذ لايمكن أن يحدث أي خلل في كيانها ليتفشى وينتشر في المجتمع وقـد أعـطى حديث رسـول الله ﷺ صورة تاريخية عن بني اسرائيل ودور المرأة فيهم حينما فسدوا وطغوا، فعزا فسادهم وطغيانهم إلى فساد المرأة التي ربيت على اقتراف الموبقات، وفساد الخلق واضاعة المثل فكان من ثمارها تمزيق بني اسائيل وتقطيعهم، ومازالت الصهيونية حتى هذا اليوم تعتبر المرأة هي الوسيلة النافعة لبث الفساد في أي مجتمع يريدون تقويض أركانه دينياً وخلقياً.

وأمـادين الله في الأرض ورسـالتـه الخـالـدة المنزلة على رسوله محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، فقد أعطى المرأة مالم تنله من قبل، أعـطاهـا الكرامة والاحترام، أعطاها الدور النافع لبناء المجتمع من خلال بيتها واسرتها فهي الام والمدرسة والموجهة، وكتاب الله سبحانه وتعالى بين أيدينا يحدثنا دائماً في كثير من آياته عن المرأة فيكفيها قدراً ومكانة عند الله أن أكثر آيات سورة النساء تحدثت عنها.

لنستمع إلى قول الله سبحانه وتعالى: « ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكـر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » الحجرات ـ ١٣ ـ

لها الكرامة تعيش بها في الدنيا والآخرة إن اتقت الله في السر والعلن.

ويقول جل شأنه: « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا ومن يعمل من الصـالحـات من ذكـر أو انثى وهـو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً » النساء ـ ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ.

إذن: لماذا الخلل في مجتمعنا، وماذا أصاب عقلية المرأة المسلمة؟ وكيف رضيت أن تقبل اهانتها وتحط كرامتها؟! غريب كل الغرابة مايحدث لها وهي المرأة التي ربت الرعيل الأول الذين فتحوا العالم وملؤوه نوراً وعدلا . . وهي التي سجلت في التاريخ الاسلامي أحداث جليلة تكتب بماء الذهب!!

ألم يأن للنساء المسلمات أن تخشع قلوبهن لذكر الله؟ وأن يرجعن عن غيهن؟

أما حان للمرأة المسلمة أن تعرف ماحل بالمجتمع من خلل يكاد أن يقضي على كيانه وسماته الفاضلة؟

ويقول سبحانه وتعالى: «ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين. وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين» التحريم ـ ١٠، ١١، ١٢ . فأي مكانة أفضل من هذه المكانة التي نالتها المرأة في دين الله؟! . .

استمعي إلى وصف الله للمرأة المسلمة: «إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً» الأحزاب ـ ٣٥ ـ هكذا كانت المرأة المسلمة، وهكذا يجب أن تكون، إنه تكامل وتوازن لاستمرار الحياة السعيدة على هذه الأرض وعلى أرض الجنة الخالدة.

فحري بك أن تحافظي على هذا التكامل الذي وهبك الله إياه، وأن تمنعي أي خلل يصاب به هذا التوازن.

فيا أيتهـا المـرأة المسلمـة: تدبري كتاب الله سبحانه وتفهمي ماتحدث به عنك، ثم طبقي ماجاء به تطبيق المقتنع المتعقل كي تنالي ثواب وسعادة الدنيا والآخرة...

الكيان الاجتماعي المعاصر

قال تعالى: «ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قومٍ حتى تغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم» الأنفال: «٥٣».

الكيان الاجتماعي المعاصر

إن مجتمعنا الاسلامي أخذ يفقد حلقاته المتصلة مع الاسلام واحدة تلو الاخرى، نتيجة للتغيرات الفكرية وانحرافاتها، مع مساندة الأساليب الخارجية التي تهدف تمزيق المجتمع المسلم بأي شكل من أشكال الدعاية والاعلان، وقد لاقت هذه الأساليب من يصفق لها ويساعدها سواء بدراية أم على غير علم، وهناك من انضوى تحت المؤثرات المضللة من غير قصد ولا غاية، فيطبق على أمثال هؤلاء، قول حافظ ابراهيم رحمه الله : وهذا يصيح مع الصائحين..على غير قصد ولا مأرب.

وازداد فقدان الحلقات مع مرور الزمن نتيجة للأقوال والأفعال التي أحدثها ويحدثها بعض المتزمتين من علماء المسلمين، وذلك لفقدان الحكمة ومواجهة الواقع باسلوب سليم وحكيم ومقبول، فصوروا الاسلام ديناً مليء تشددا وقسراً من غير قصد ظناً منهم أنهم بذلك أحسنوا صنعاً، وهناك من فهم الاسلام على حسب أهوائه فضاع وأضاع معه صوراً سليمة فجعلها مشوهة في المجتمع المسلم.

فبهذه الصدمات العنيفة أخذ الكيان الاجتماعي بالتساقط والتفكك، حتى كاد أن يهدم وتمحى آثاره إنه معترك جلل، وصراع مخيف بين المحافظة على الكيان وهدمه، علماً أن أطماع الغزاة في مجتمعنا

تحققت ولكنه تحقيق ناقص، مهما نالوا من أوسمة الفخر للقضاء على الكيان الاجتماعي المسلم، ولو أن حالة المجتمع يرثى لها سواء على مستوى الرجل أو المرأة، لأن بناء الاسرة المسلمة قد تأثر بلا ريب من دعاة الضلالة والانحلال، ومع كل هذا مازالت الاسرة المسلمة تحاول الصمود والوقوف في وجه التيارات الفاسدة للقضاء على كيانها، أما تلك الاسرة التي انقطعت صلتها باسلامها فتعتبر مساعدة لتلك التيارات الجارفة.

إذن: فالكيان الاجتماعي المسلم تناولته أيدي كثيرة حملت أدوات متنوعة لهدمه فإلى متى يستمرهذا الهدم؟! إن أريد اصلاح هذا الكيان والعودة به إلى سلامة بنائه، وتقوية أساسه لابد من وجود فئة من العلماء المسلمين الذين يدركون حقيقة الاسلام، ويفهمون مايرمي إليه، وأن تتوفر لدى العالم المسلم عقلية الفيلسوف، وقلب الناسك، مطبقاً على نفسه وأهله وذويه مايتحدث به ويدعو إليه الناس، وأن يتصف بالحكمة والاسلوب المقبول، كي يغرس في قلوب الناس مايقوله، فيحول مايقوله إلى عمل يطبقه الناس بروح صافية وإيمان مطلق.

فالعالم المسلم المعاصر هو الذي يفهم الاحتكاك مع الفرد المسلم كي يجعله سعيداً في حياته العملية بكل ألوانها وأشكالها.

ولم يخل المجتمع المسلم في يوم من الأيام من أمثال هؤلاء العلماء الذين يقدمون النصح والارشاد بروح مؤمنة ويعمل مليء اخلاصاً، فلو خلا منهم لكانت الطامة الكبرى

والله سبحانه وتعالى يهيء لهذه الامة العربية والاسلامية من يتابع طريق الهدى ويدافع عن هذا الدين ليبقى الايمان في قلوب عباده، والاسلام منتشرا في ربوع أرضه.

الاسرة ودورها في بناء المجتمع المسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن تؤمنوا حتى تراحموا قالوا يارسول الله: كلنا رحيم قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامّة» رواه الطبراني.

الاسرة ودورها في بناء المجتمع المسلم

ليس المقصود في هذا البحث أن تنظر إلى الاسرة من بعض جوانبها التي تؤدي بنا إلى فكرة « الاسرة الأحادية » فنكون بذلك مقلدين لفكرة غير إسلامية نشأت عند اليونان وأصبحت ذات تطبيق واقعي في الحياة الأروبية الحديثة، لأن هذه الفكرة تجعل من الاسرة ذات نطاق ضيق من حيث الحياة العملية ليس لها أي دور في بناء المجتمع، لذلك ترى المجتمع الأروبي متفكك الأواصر لاتربطه أي علاقات اجتماعية، لأنه جعل من الاسرة كياناً خاصاً ليس لهذا الكيان أي ارتباط بالمجتمع.

وإنما المقصود في هذا البحث بيان ماقدمه الاسلام للاسرة المسلمة من حقوق وواجبات لتكون أواصرها متينة، لتنتقل هذه الأواصر إلى المجتمع كله، فليس في الاسلام تلك الحدودية للفرد في الاسرة، بل أعطى الحقوق لكل فرد في المجتمع ووضع مفاهيم عامة لتعايش المجتمع ككل مع بعضه البعض، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على الخير وما إلى ذلك من تقوية بناء المجتمع الاسلامي.

فمنذ تأسيس أول مجتمع اسلامي وَضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسس العامة للأسرة وذلك للمحافظة عليها وجعلها ذات نفع مستمر في الحياة الاجتماعية.

والاسس التي بوضعها الاسلام كانت ضمن حقوق الزوج والزوجة وحق الأولاد ما لهم وماعليهم

وقبل أن نتحدث عن هذه الحقوق العامة لابد من بيان لكلمة «اسرة»

هذه الكلمة لم تستعمل في المجتمع الاسلامي من قبل، فكانت كلمة «أهل» استعملت في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتعطي هذه الكلمة معنى أوسع وأقوى لتماسك المجتمع فضلاً عن تماسك الاسرة يقول الله تعالى في سورة التحريم « آية ٦ »: «ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً. . »

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « . . . والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته »

ويقول: « خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»

ويقول: « . . وإن لأهلك حقا »

فهذه النصوص لاتدل على الاسرة الاحادية، ولا تمت إلى فكرتها بصلة، فمن قال بذلك فقوله مردود، لأن الاسلام وضع بياناً تفصيلياً لحياة المجتمع الاسلامي عامة.

نعم: انه بدأ بالفرد ومن الفرد لكنه لم يهمل المجتمع ككل، فحينما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايحقره »

كان مراده تماسك الاسرة مع المجتمع.

ونستمع إليه صلى الله عليه وسلم وهو يقول: « وإماطتك الأذى عن الطريق صدقة »

وهناك أحاديث كثيرة تدل على مدى ارتباط الاسرة بالمجتمع وعدم الانفصال بينهما.

وهذا الارتباط ليس روحياً فقط بل وعملياً في الحياة الاجتماعية كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « . . والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه»

وقوله صلى الله عليه وسلم: « من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه » ـ رواه الامام أحمد في مسنده

وقوله صلى الله عليه وسلم: « . . من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » ـ رواه الامام أحمد في مسنده

وقوله صلى الله عليه وسلم: « من رأى منكم منكراًفليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان[1] كأن يرى مظلوماً فيضرب على يد الظالم أو يتكلم معه فإن لم يفعل ذلك فبقلبه وهذا أضعف الايمان، والمقصود من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا احقاق الحق بين الناس وافشاء العدل بينهم.

وتضم الآية الكريمة مدى ارتباط المجتمع مع الاسرة وتوضح أهمية هذا الارتباط الجماعي الشامل وهي: « وتعانوا على البر والتقوى ولا تعانوا على الاثم والعدوان . . » المائدة «٢»

ولا بد من العود إلى ماقصدنا إليه في هذا البحث وهو الحقوق العامة في تكوين الاسرة والمجتمع المسلم فمما تتسم به الاسرة المسلمة أنهابنيت على المحبة والالفة والمودة وذلك تطبيقاً لما ورد في القرآن الكريم قوله الله تعالى: « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» الروم: «٢١»

على هذا الاساس يبنى بيت الزوجية فيسوده التفاهم والتآلف، ليس فيه أي تنافر فكري روحي أو مادي، فينضوي كل من الزوجين تحت لواء الايمان مطبقين مايريده من أحكام لبناء اسرتها.

فللزوج حقوق يجب على المرأة المسلمة التقيد بها وتنفيذها، وذلك ضمن الحدود الشرعية، حتى لاتخالف قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق»

---

(١) رواه الامام أحمد في مسنده

فطاعتها له مستقاة من مفاهيم الاسلام، ومستوحاة من آيات الله سبحانه وتعالى البينات وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ينادي المرأة المسلمة مبيناً لها ماذا تفعل في بيت زوجها: « لايحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن لأحد في بيت زوجها وهو كاره، ولاتخرج وهو كاره، ولاتطيع فيه أحداً، ولا تعزل فراشه، ولا تعزبه فإن كان هو أظلم فلتأته حتى ترضيه، فإن قبل منها فبها ونعمت، وقبل الله عذرها وأفلج[1] حجتها ولا إثم عليها، وإن هو لم يرض فقد أبلغت عند الله عذرها »

هذا مايجب على المرأة من حقوق نحو زوجها، إنه الحفاظ على بيت الزوجية حتى تتكون الاسرة السعيدة ذات البناء السليم، فليس في كيان الاسرة موضع للفوضى، بل هو مكان صانه الاسلام ووضع له شروطاً لحفظ هذه الصيانة، فإن اختل منها شرط تهدم السور وتساقطت جدرانه فعصفت فيه رياح الاهواء والشهوات.

والمرأة المسلمة تعلم حق زوجها وتعلم عقوبة ربها إن أغضبته، لأنها سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ثلاث لاترفع صلاتهم فوق رؤوسهم - أي لايتقبلها الله منهم -. . . منهم - وامرأة باتت وزوجها عليها غضبان »

وقوله صلى الله عليه وسلم: « والذي نفس محمد بيده مامن رجل يدعوا امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها »

إنه الاشباع لغريزة زوجها كي يكون مكتفياً غير ناظرٍ لغيرها، لذلك لايحق للزوجة هجر فراشه ولا البعد عنه لأن هجرها يعني بغضها له وهذا مما يؤدي إلى نتائج وخيمة قد تعود بالضرر الشامل على بيت الزوجية.

---

(١) أفلج: أظهر

فأنت أيتها المرأة المسلمة المعاصرة صاحبة الأمر في هذا، فافعلي مع زوجك ما يرضي الله ويرضاه ولا تتكبري أو تتعالي عليه فإن الزوج هو عماد البيت وهو سترك وحصنك والمحافظ عليك، كما أنك محافظة عليه فاذكري دائماً قول النبي صلى الله عليه وسلم:

« . . والمرأة راعية في بيتها ومسؤولة عن رعيتها »

هكذا وضع الاسلام هذه الحقوق عليك لاستمرار حياة الاسرة السعيدة مع زوجك، فيجب عليك التمسك بهذه الحقوق، والتطبيق الكامل لها، كل ذلك لتبقى المودة والرحمة والمحبة ذات رائحة زكية تفوح في أركان بيت الزوجية.

وأود أن أذكر لك أيتها المرأة المسلمة قصة المرأة الصالحة التي أحبت زوجها هذه القصة أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال:

«إن امرأة الحطاب من أهل الجنة بفضل ماتفعله لزوجها. سُئلت امرأة الحطاب عما تفعله لزوجها فقالت: إن زوجي رجل يحتطب [يقتطع الخشب ويجمع الحطب من الجبل ثم ينزل إلى السوق فيبيعه ويشتري ما يحتاجه بيتنا] فأحس بالعناء الذي لقيته في سبيل رزقنا وأحس بحرارة عطشة في الجبل تكاد تحرق حلقي، فأعد له الماء البارد حتى إذا ماقدم وحده. وقد نسقت متاعي، وأعددت له طعامه ثم وقفت أنتظره في أحسن ثيابي فإذا ماوبح ـ دخل ـ الباب استقبلته كما تستقبل العروس عروسها الذي عشقته مسلّمة نفسي إليه، فإن أراد الراحة أعتقته عليها، وإن أرادني كنت بين ذراعيه كالطفلة الصغيرة يتلهى بها أبويها. . »

وكما أن للزوج حقوقاً على زوجته في المعاشرة، كذلك للزوجة حقوق على زوجهافقدعمم الله سبحانه وتعالى هذه الحقوق بقوله: « . . وعاشروهن بالمعروف » النساء «١٩» فعليه حقوق وواجبات يجب أن يؤديها لزوجته، وألاّ يقصر في حقها، فقد قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله»

وقال: «أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم لأهله»

وقال: «ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر» الجواظ : الجافي

وهاهو أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حق الزوجة . فيقول : يارسول الله : ماحق زوجة أحدنا عليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت» .

هذه الآداب والتعاليم التي وضعها الاسلام ، وهذا الخلق الفاضل الذي يجب أن يتحلى به الزوج المسلم ، إنه البيت العامر بالأخلاق الحسنة والمثل العليا والعادات الفاضلة ، فكيف تضيع الاسرة إن كانت متمسكة بمثل هذه الدعائم ؟ وكيف تفقد زمام التربية إن بقيت محافظة على هذه المبادىء القيمة ؟

ولكن الصور التي نراها في واقعنا اليوم مخالفة واضحة ما جاء به الاسلام وما نص عليه القرآن والسنة النبوية ، إنها صور شوهت تلك المعالم ، فمن تلك الصور ما يتبجح به بعض الناس الذين لم يفقهوا معنى آيات الله سبحانه ، فيرددون دائماً وهم يفتخرون بذلك قول الله تعالى : «الرجال قوامون على النساء . . .» ولا يكملون الآية لأنهم لم يحفظوا منها إلا بدايتها ، ويفسرونها : إن الرجل هو صاحب السلطة وهو صاحب القوة ، يأمر وينهى ما يشاء وكيفما يريد .

وأما المعنى للآية والمقصد الالهي منها: فهو بيان ما على الزوج من واجبات جعلته ذا تفضل عليها، كالنفقة على الاسرة، وجلب الرزق، وتكملة الآية الكريمة:

« . . . بما فضل بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم. » النساء «٣٤»

وقد فسّر هذه الآية قول رسول الله صلى الله عليه الذي مر ذكره آنفاً.

فهل هناك امرأة نالت مكانة وكرامة عند زوجها كما أعطاها الاسلام؟!

فالزوج لايضرب الوجه ولا يتكلم معها بقبيح الكلام ولا يصف مساوىء جسدها إن وجدت ولا يهجرها إلا في حق له شريطة أن يكون الهجر في بيتها.

وكما يجب على المرأة أن تحافظ على زوجها من النشوز، يجب عليه كذلك، فلا يقصر في حقها لأنها بشر مثله لها شعورها وأحاسيسها، وقد تكلمنا عن ذلك في بحث «الجنس عند المرأة» هذه بعض الحقوق التي وضعها الاسلام وآخر الزوج بتطبيقها في الحياة الزوجية فيا أيها الزوج هل طبقت ماجاء به الاسلام؟

هل أديت حقوق زوجتك كما هي تؤديك حقك؟

فالرجل المسلم المؤمن هو الذي آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وطبق مايحمي اسرته من الضياع الاجتماعي والتفكك الأخلاقي.

فكم من أزواج هدروا هذه الحقوق، ولم يفقهوها، فضاعوا وضاعت معهم زوجاتهم وأسرهم.

إنه ميزان العدل الذي وضعه صاحب العدل والحكمة الله سبحانه وتعلى العليم والخبير بخلقة الحكيم بما يحتاجون إليه.

فليس هناك فوارق بين الزوج وزوجته، وليس هناك تفاوت بينهما أمام الله سبحانه وتعالى إلا بالتقوى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

وحينما يتم بناء الاسرة من الزوج والزوجة، يأتي الانجاب ويرزقهم الله سبحانه وتعلى الولد فقد قال الله تعلى: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا. . » الكهف: «٤٦».

وقال الله تعالى: «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة. . » آل عمران «١٤».

وقال: «والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة. . » النحل «٧٤»

وقال: «انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد » الحديد «٢٠»

فالاسرة تتكامل بوجود الأولاد، وتعظم مسؤوليتها، حينئذ يجب على الأبوين أن يكونا مثلاً أعلى ليحتذي بهما وليدهما، فيتبعان الاسلوب الصحيح والسليم لتربية والاهتمام به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكرموا أولادكم وأحسنو أدبهم»

وقد وبخ رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك الذين فقدوا صحة التربية وسلامة أطفالهم من الضياع بقوله: «كفى بالمرء اثماً أن يضيّع مَن يقوت»

إنه تكامل في الحقوق وتساو في الواجبات، حق الزوج على زوجته، حق الزوجة على زوجها حق الأولاد عليهما.

فالاسرة المسلمة بهذا التكامل يصبح لها الدور الفعّال في بناء المجتمع المسلم، وتعطي ثماراً يانعة يجنيه المجتمع مما قدمته

من مودة ورحمة وتكافل وتعامل ضمن المفاهيم الاسلامية. هذه المعايير التي وضعها الاسلام كي تبقى الاسرة المسلمة محافظة على كيانها، ولكي تتابع مسيرة الحياة الفاضلة، فلنتدبر هذه الآية الكريمة التي بين الله سبحانه وتعالى حق الوالدين على الولد وماذا يجب عليه نحوهما، يقول الله تعالى: «ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصالة في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير. وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون» لقمان «١٤ - ١٥»

ويقول: «واعبدوا الله ولا تشركو به شيئاً وبالوالدين احسانا» النساء «٣٦».

فهل هناك تربية أفضل من هذه التربية وأنفع في الحياة الدنيا وللآخرة من تربية القرآن لنفوس الأولاد؟ إنها توصية بالام والأب وشكر لله ولهما، ويبقى الولد مستمراً في الطاعة وتقديم الخير لهما حتى لو كانا مخالفين له في عقيدته الايمانية، يستمر في ذلك ماداما حيين يقول الله تعالى «وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقلّ لهما قولاً كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيرا» الاسراء «٢٣ - ٢٤».

إنه ارتباط وثيق بين الولد وأبويه، والأدب والاحترام لهما، فهل توصلت الانسانية الحديثة إلى مانص عليه كتاب الله؟

وهل وضع أصحاب القوانين الوضعية حقوقاً كهذه الحقوق؟ إنها الاسرة الاسلامية التي بنيت على المحبة والرحمة والمودة، فقويت فيها روابط التآلف التي تؤثر مباشرة على المجتمع كله.

ولنستمع إلى الاستمرار في إعطاء الحقوق، حينما يكون الانسان ابناً ثم يصبح أباً، لنستمع إلى قول الله تعالى: « ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين » الأحقاف «١٥»

هكذا تحدث كتاب الله عن الوالدين والولد وما يجب على كل واحد منهم تجاه الآخر، كما وأنه تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوالدين وحث الولد على إطاعتهما وعدم إغضابهما فيقول:

« من سره أن يُمدّ في عُمره ويُزاد في رزقه فليبرّ والديه وليصل رحمه» رواه الامام أحمد في مسنده فبر الوالدين ازدياد في الرزق وازدياد في مباركة الله له في عمره.

ويقول: « . . وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم »

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال ثم من؟ قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال «أبوك» رواه البخاري ومسلم ويجب على الولد أن لاينسى أبويه بعد مماتهما، وهذا ما قاله أحد الصحابة سائلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال رسول الله: «نعم الصلاة عليهما إلا الدعاء لهما بالمغفرة والنعيم والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لاتوصل إلا بهما ـ زيارة الأقارب من المحارم وغيرهم ـ وإكرام صديقهما» رواه داوود وابن ماجة.

وقال رسول الله: « من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل

إخوان أبيه بعده » والاخوان هم الأهل والأقارب والأصحاب رواه ابن حيان في صحيحه.

وقال صلى الله عليه وسلم: « . . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » رواه البخاري ومسلم والرحم هم الأقارب، فعلى المسلم أن يودهم ويحسن إليهم.

وتتوسع روابط الألفة حتى تصل إلى المجتمع، وذلك حينما تنطلق الاسرة من منطلق اسلامي وبمنظور إيماني، فتصبح لبنة قوية في بناء المجتمع المسلم، إنها الاسرة التي طبقت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: فتصبح لبنة قوية في بناء المجتمع المسلم، إنها الاسرة التي طبقت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله » وقوله: «المسلم أخو المسلم لايخونه ولا يكذبه ولا يخدعه »

وقوله: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحبه لنفسه ».

وقوله: « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ».

وقوله: « والله لايؤمن من بات شبعاناً وجاره جائع »

ثم يتدبر المجتمع كله قول الله تعالى: «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . . » المائدة «٥٤» ويطبق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

هكذا تكونت الاسرة المسلمة، وهكذا تم ارتباطها مع المجتمع ودورها في بنائه، وهذه هي الاسس التي بنيت على دعائم قوية، فإن تم التطبيق ضمن ماشرعه الله سبحانه وتعالى، فسوف يكون المجتمع كله ذا روح ايمانية واحدة واحدة، لايسمح لأي خلل يحدث في بنائه الشامخ والمتين، ولأي عواصف عاتية تريد زعزعته مهما قويت وبدلت اتجاهاتها.

رعاية المرأة المسلمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خيراً فإنكم أخذتموهنّ بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

رعاية المرأة المسلمة

لانريد أن نسهب في هذا البحث لأننا استقصينا بقدر الاستطاعة مايدور في افق المرأة المسلمة من معضلات ومشكلات، لذلك نضع بين يدي القاريء ما ورد عن رسول الله ﷺ من أحاديث بينت فضل رعاية المرأة، والثواب الذي يناله الأب أو الأخ في تربية الفتاة. قال رسول الله ﷺ:

١ ـ « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت »

٢ ـ « ان الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظه أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته »

٣ ـ « من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار »

٤ ـ « من ابتلى بشيء من البنات فصبر عليهن كن لها حجاباً من النار »

الابتلاء المقصود في الحديثين ليس الذي نفهمه ظاهراً، بل هو الصبر على حسن التربية كي لايحاسب المربي على اهماله للفتاة. . .

٥ ـ « من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين ـ وأشار باصبعه السبابة والتي تليها ـ ».

٦ ـ « ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ماصحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة »

٧ ـ « . . ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة، وكان له كأجر مجاهد في سبيل الله صائماً قائماً »

٨ ـ « من كانت له انثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها ـ يعني الذكور ـ أدخله الله الجنة »

٩ ـ « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو اختان فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة » وفي رواية: « . . فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة ».

هكذا أراد الاسلام أن تكون تربية المرأة المسلمة، وهكذا قصد رسول الله ﷺ إنها التربية السليمة للفتاة حتى تنشأ على حب الله ورسوله، وحبّ كل عمل يجعلها مقربة إلى الله اهتمام متكامل لتربية الفتاة منذ ولادتها حتى تصبح أماً تنجب الرجال.

فإذا ربيت بهذه التربية يبقى المجتمع معافاً من كل داء، وبعيداً عن كل خلل، لأنها اللبنة التي يبنى عليها نصف المجتمع وكيانه.

نعم: وإنها مسؤولية عظيمة تقع على عاتق المربين ليقدموا لهذه المرأة العلاج النافع وماتحتاجه من اصول سليمة مبنية على التقوى ومستقاة من دين الاسلام الحنيف.

بهذا التكامل في بناء الاسرة تقضى على كل الفتن ليتمم باهتمامه وعطائه بناء المجتمع المسلم الذي أراده الله وحث عليه نبيه ﷺ . . .

مكانة المرأة في القرآن

قال الله تعالى: «ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعْنك على أن لايشركن بالله شيئاً ولايسرقن ولايزنين ولا يقتلن أولادهنّ ولا يأتينَ ببهُتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم» الممتحنة: «١٢»

مكانة المرأة في القرآن الكريم

استمعي أيتها المرأة المسلمة إلى ما أنزل الله سبحانه وتعالى بحقك ، وكيف جعل لك المكانة التي تفتخرين بها لكونك الأم والمربية والزوجة الصالحة ، والمؤمنة بالله.

وسأترك لك فهم الآيات لأنها واضحة المعنى لاتحتاج إلى ايضاح وتفضيل من حيث المعنى العام لها ، وقدذكرقسم منها في البحوث التي تكلمت فيها عن المعضلات والمشكلات التي تواجهك في حياتك فإليك ما استطعت جمعه من القرآن الكريم :

« ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كَرْها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبّينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » النساء /١٠٩/

« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً. وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » النساء « ٢٠ - ٢١ »

« ولا تتمنّوا مافضّل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما » النساء «٣٢»

« الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيرا » النساء «٣٤».

« وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهم أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير . » النساء «١٢٨»

ومن يعمـل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايُظلَمون نقيرا » النساء «١٢٤»

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم » المائدة ٣٨ ـ ٣٩

« الزانية والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين . الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحُرّم ذلك على المؤمنين . والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم » النور الآيات ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ »

« إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعِنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » النور «٢٣»

« الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولك مبرأون بما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم » النور «٢٦» .

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو أبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بني أخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » النور «٣١»

« . . . ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة والله عزيز حكيم » البقرة « ٢٢٨ »

« إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصـدقـين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيمًا » الأحزاب: «٣٥»

هذه هي مكانتك في كتاب الله سبحانه وتعالى الذي يتلى ويتلى حتى يرث الله الأرض ومن عليها فلماذا البعد عن هذه المكانة؟

ولماذا الهروب من هذه الكرامة التي كرمك بها الله سبحانه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم؟!

كلمة أخيرة

قد وضع الاسلام كل الحلول لما يلاقيه المجتمع البشري من مشكلات وعوائق تقف أمام مسيرته الايمانية ووضع للمرأة كل ماينسبها ويتلاءم مع انوثتها لتكون في سعادة، فقد عبأها بتوجيهاته كي لاتكون يوماً ما عاجزة عن العطاء النافع، فلم يأت بمعضلات ومشكلات، ثم بحث عن حلها، بل وضع لها كل ماتحتاجه من سعادة وطمأنينة في هذه الحياة ولحياتها الخالدة.

فالمرأة العاقلة التي تحكّم عقلها بعيداً عن نوازع النفس وأهوائها، بما يدور حولها، وماهي عليه، لابد لها حينئذ من العودة إلى دينها وإسلامها.

فمهما كانت ظواهر الفتن مغرية، ومهما امتدت هذه الظواهر على ساحات الفكر والعمل، فلا بد للعقل الذي ذهبت عنه غشاوة الضلالة أن يمقتها ويبتعد عنها، ويرجع إلى الخير وفعله.

ولنقرأ جميعاً قول الله سبحانه وتعالى كي نتفهم ونتدبر ثم نعمل:

« الذين يستمعون القول فيتبعون سنة أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب » الزمر - ١٨ -

ولنهاية البحث كلمة

أنهي موضوعية هذا الكتاب بعون الله سبحانه وتعالى بما قاله العماد الأصفهاني:

« إنني رأيت أنه لايكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر »!!

مراجع البحث

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ تفسير الألوسي

٣ ـ تفسير في ظلال القرآن

٤ ـ الكتب الستة

٥ ـ مسند الامام أحمد

٦ ـسنن الدارمي

٧ ـ سنن ابن ماجة

٨ ـ نيل الأوطار

٩ ـ الاسلام وتنظيم الاسرة

١٠ ـ بروتوكولات صهيون

١١ ـ الانسان ذلك المجهول

فهرس الأحاديث النبوية

المخرجة في البحث

حرف الألف

أبغض الحلال . . .	أبو داود ـ ابن ماجه ـ الحاكم
استوصوا بالنساء . .	الشيخان
إذا أتاكم من ترضون . .	الترمذي ـ ابن ماجه ـ الحاكم
التمس ولو خاتماً . . .	الامام أحمد «الشيخان» أبو داود
إن المرأة تقبل بصورة . . .	الامام أحمد «الشيخان» أبو داود
إن الدنيا حلوة خضرة . .	الترمذي
إنما النساء شقائق . . .	الترمذي ـ أحمد
أيما امرأة تطيبت ثم خرجت . .	ابن ماجة
أيما امرأة استعطرت . . .	الامام أحمد ـ النسائي

حرف التاء

تزوجوا الولود الودود. . أبو داود ـ النسائي
تزوجوا ولا تطلقوا. . . الطبراني في الكبير
تناكحوا تناسلوا. . عبد الرزاق في الجامع
تنكح المرأة لأربع الشيخان

حرف الطاء

طلب العلم فريضة. . . ابن ماجة

حرفُ الكاف

كذبت يهود إن الله. . . أبو داود
كفى بالمرء اثماً أن يضيع. . أبو داود

حرف اللام

لاتنكح الأيم حتى تستأمر. . أبو داود
لايجلد أحدكم امرأته البخاري
لتركبن سنن من قبلكم. . . الحاكم
لعن الله الواشمات. . . الامام أحمد
لعن الله الواصلة. . . الامام أحمد
لقد هممت أن أنهى. . . الامام أحمد ـ مسلم
لم نر للمتحابين. . . ابن ماجه
لو كان ضاراً لضر. . . مسلم

حرف الميم

من ابتلي من هذه البنات بشيء . .	الشيخان
من ابتلي بشيء من البنِات	البخاري
من عال جارتين دخلتُ . .	الترمذي
من لايَرحم لايُرحم . .	الشيخان ـ الامام أحمد ـ أبو داود ـ الترمذي
من كانت له انثى . .	أبو داود
من كان له ثلاث بنات . .	أبو داود
ما من مسلم له ابنتان . . .	ابن ماجه

حرف الواو

والاثم ماحاك في صدرك . .	مسلم ـ الترمذي ـ الدارمي

حرف الياء

ياعلي لاتتبع النظرة . . .	أبو داود
يامعشر الشباب من استطاع . . .	أبو داود

ثبت الموضوعات

الاهداء
استفتاح واستهلال
تقدمة
موضوعية البحث
مدخل إلى آفاق البحث
توطئة
معضلة تحرير المرأة
معضلة خروج المرأة
معضلة اختلاط المرأة
معضلة لباس المرأة
معضلة عمل المرأة
معضلة تعليم المرأة
معضلة نفسية المرأة
معضلة الجنس عند المرأة
معضلة الحب عند المرأة
معضلة زواج المرأة
تعدد الزوجات
معضلة طلاق المرأة
معضلة الخلل عند المرأة
الكيان الاجتماعي المعاصر
الاسرة ودورها في بناء المجتمع المسلم
رعاية المرأة المسلمة

مكانة المرأة في القرآن
كلمة أخيرة
ولنهاية البحث كلمة
مراجع البحث
فهرس الأحاديث النبوية
آثار المؤلف

آثار المؤلف

١ ـ الحب في الاسلام .
٢ ـ مسألة القضاء والقدر .
٣ ـ الخضر عليه السلام بين الحقيقة والخيال .
٤ ـ الراعي النميري ـ «دراسة» .
٥ ـ الباحثون عن الحقيقة .
٦ ـ دفاع واستشهاد ـ «قصة» .
٧ ـ شعراء الفتح الاسلامي ـ «حلقات» .
٨ ـ معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية ـ «تحت الطبع»
٩ ـ الترجمات في اعلام حوارن ـ «تحت الطبع» .
١٠ ـ معضلات ومشكلات المرأة المسلمة المعاصرة .
١١ ـ الشعر التعليمي ـ «تحت الطبع» .

من منشورات دار الألباب

١ ـ قرآن كريم وبهامشه التفسير الوجيز .
٢ ـ مصحف بيز لونين .
٣ ـ ربعه مجزأة كبيرة لونين .
٤ ـ ربعه مجزأة صغيرة لونين .
٥ ـ ربعه مجزأة لون واحد .
٦ ـ مصحف سحاب لونين تجليد نافر .
٧ ـ الغنية للشيخ الجيلاني ج ١ ـ ٢ .
٨ ـ الفتح الرباني للشيخ الجيلاني .
٩ ـ حياة الحيوان للدميري ج ١ ـ ٢ .
١٠ ـ شعراء الفتح الاسلامي «حلقات» .
١١ ـ الدعاء المستجاب .
١٢ ـ ديوان الإمام الشافعي .
١٣ ـ معضلات ومشكلات تواجه المرأة المسلمة المعاصرة .

عدد الطبع ٣٠٠٠ نسخة

تاريخ ٣٠ / ١٠ / ١٩٨٦ م

المطبعة العلمية بدمشق

هاتف ٢٢٩٤٣٥

هذا الكتاب

كان المؤلف دؤوباً في سعيه وراء تأليف هذا الكتاب، من أجل نفع المرأة المسلمة خاصة والمجتمع عامة...

كما وأنني كنت أتطاول إلى نشر هذا الكتاب بثوبه الطاهر بين يدي المرأة المسلمة، كصيحة صادحة من مكمنها حثاً للوثوب من الانجراف العارم الذي يجرأ على تلويث المرأة المسلمة بغية صدها بسهام الإثم كي تحيد عن شأنها التي هي جوهر مكانتها وصدق حقيقتها...

لذلك يأتي هذا الكتاب ليضع بصحته النيرة من عمق مضمونه وصدق أبحاثه على مأذنة القلوب كي تحيا حياة سعيدة مطمئنة في ظل تعاليم الإسلام...

الناشر